الأستاذ

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

لمحات من وراء القرون

في ظلال الشريف الرضي



دار المحجة البيضاء

لمحات من وراء القرون

(في ظلال الشريف الرضي)

محمّد سَعيد الشيخ عَلي الخنيزي

دار المحجة البيضاء

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/٢٠١٣م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

Abdul Maksoud Khojah



عبد المقصود خوجه

التاريخ: ١٤٣٢/٤/٧هـ

الموافق: ٢٠١١/٣/١٢م

﴿ رسالة بالهاتف ﴾

سعادة الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد الخنيزي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر لكم إهدائي كتبكم اللافتة " تهاويل عبقر" الذي احتوى على ثمان وخمسين قصيدة تنوعت موضوعاتها بين الوجدانية والذاتية والرثاء، وتميزت بجزالة مفرداتها ووضوح معانيها، و "المعري الشاك" الذي تناولتم فيه الشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري من خلال " اللزوميات"، و استنطقتم الشاعر على أحسن ما يكون وكان لكن ما أردتم، و" الشعر ودوره في الحياة، رومانسيون"، والذي تحدثتم فيه عن عدد من الشعراء ومؤلفاتهم، سائلاً المولى أن يزيد في عطائكم لما يشكله من إضافة قيمة للساحة الفكرية والثقافية العربية.

ولكم تحيات وتقدير



عبد المقصود محمد سعيد خوجه



الإهداء

أقدم هذا الحرف الذي يبحث عن رمز من رموز الفكر إلى رمز يماثله هدية وذكرى لأبي الإمام الشيخ عليٍّ أبي الحسن الخنيزي إجلالاً وتقديراً لخدمته للفكر وانجازه العلمي.

ابنكَ

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

١٤٣٢/٧/٨هـ

٢٠١١/٦/١٠م

توضيح

كان حتماً عليَّ أن أهدي هذا الحرف ما دام يتحدث عن هرم من أهرام الفكر ورمز من رموز أعلام الشيعة بل هو من رموز علماء المسلمين، وهذه الدراسة والبحث عن هذا المفكر الكبير أعترف فيها بتقصيري لعدم إدراكي لتحليل هذه الشخصية وما فيها من معاني لا يستطيع الفكر أن يتعمق فيها ويلج إلى جوهرها فيوضحها ويحللها بحثاً ونقضاً ودرساً كما هي أهلٌ له، إنني أقصر عن ذلك ولكنه لا يسقط الميسور بالمعسور وكتابتي هذه عن هذا الرمز الذي دافع عن الإسلام وعن العقيدة في أسفار كان لها الدور في الدفاعَ والمناضلة ولو أمتدَّ به العمر لجاز أن يتربع على عرش الفكر كأخيه الشريف المرتضى علم الهدى ولكن لله الأمر وله الشأن ولا يجري إلا لحكمة وصلاح وما شاء الله لا ما شاء الناس وكان بحثي عن هذا الرمز الكبير والعلم الضخم إنما أقصد به اليوم الآخر والمثوبة من الله وإن لم أوفيه حقه ولابد من إشارة إلى أن هذا الحرف مادام يتحدث عن رمز كبير فلابد من أن أقدمه هدية معنوية لأستاذي الكبير

المعلم الأول والمربي أبي الإمام الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي قدس الله روحه لأن الشيء لابد أن يكون من جنسه، لذلك اخترت أن أجعل الإهداء له لأكون وفياً لمفكرنا الكبير الشاعر الشريف الرضي وباراً بأبي ووفياً لهذه التربية المدية المعنوية والروحيَّة

والله الموفق والمسدد

٨ / ٧ / ١٤٣٢هـ

١٠ / ٦ /٢٠١١ م

هل شعرُ الشاعر مرآة لحياته؟

إن هذه الدراسات التمهيدية التي تبحث عن نصوص شعر الشاعر وذاته وهل ندرس حياة الشاعر من شعره فشعره مرآة تنعكس عليها ظلال حياته وحركاتها وسكناتها وخلجاتها ولا يحوجنا هذا الشعر إلى بحث خارج عن هذا الإطار ويغنيني بحيث لا نرجع لمصادرنا التاريخية التي تحيط بحياة الشاعر ونقصر بحثنا ودراستنا على شعر الشاعر، وكل ما جاء في نصوص هذا الشعر هو حياة لذلك الشاعر يمثلها ذلك الشعر ويجسدها تجسيداً واقعياً، وكل صورة من صور شعره هي حقيقة ملموسة من حياته الواقعية العملية فهي فصول من حياته وأيام من كتاب عمره، إن بحثي ودراستي للشعر وقائليه أوصلتني إلى حقيقة واقعية لا جدل فيها ولا مراء، فتختلف الشعراء وتختلف الشخصيات في دور حياتها وموقعها الاجتماعي ومرتبة إيمانها وصلاحها فالباحث إن كان معاصراً لذلك الشاعر أو المفكر فعليه أن يدرس حياته التي هي تتصل بالمجتمع وتعايشه وتسايره وما ذلك الشخص، وما إيمانه فبعد دراسته لشخصيته الواقعية وما يرتبط بها من رابط

ديني أو اجتماعي كموقع زعامة دينية أو له دور إصلاحي فبعد دراسته لهذه الشخصية لا يصح للباحث أن يطبق دراسته ويعكس شخصية ذلك الإيماني ويدرسها من شعره فالشعر لا يمثل تلك الشخصية بما فيها من صور وآراء على تلك الشخصية وشعره يباين شخصيته وربما يكتب الشعر للفن أو للخلود في صفحات التاريخ وكثير من الشعر خلَّد قائليه فصار ذكر بعض الشعراء يعيشون الظهور مع تطور الحياة ويواكبون الشمس في سيرها كالمتنبي وأمثاله، فبعد أن ندرس حياته وما فيها من صور إيمانية، فهذا لا يصح أن نطبق صور الشعر على حياة ذلك الشاعر الذي قال الشعر للفن أو للخلود او ليقال إنه شاعر مُجيد ومقولة أرباب الأدب النقاد أعذبُ الشعر أكذبهُ أما إذا لم يكن الباحث يعاصر ذلك الشاعر أو المفكر فعليه أن يدرس حياته من ظاهرة التاريخ وكتاب عصره ومحيطه الذي يعيشُ فيه حتى يصل إلى حقيقة يلمسها ويرتكز عليها في دراسته لذلك الشاعر أو المفكر فبعد البحث والتدقيق، فإن وجد شعره يطابق حياته العملية وليس بينهما تباين في التطبيق إنما شعره أقوال لا ظل له من واقع دنياه فعليه أن يدرس حياته لا من شعره، وإن كانت حياته مرآة لشعره وشعره مرآة لحياته تنعكس عليها ظلالها وتموج أطيافها، وليس الشعر مجرد أقوال يفوه بها الشاعر بل هي معاناة وانفعالات نفسية، فعلى الباحث أن يدرس حياة الشاعر أو

المفكر من شعره مع البحث للظاهرة التاريخية التي تتحدث عن ملابسات حياة ذلك الشاعر أو المفكر، وحسب تتبعي للحياة التاريخية والحياة المعاصرة وجدت بعض الشعراء يصح لنا أن ندرس حياتهم من شعرهم في الحياة الماضية والحياة المعاصرة، فهذا الشعر يمثل حياة ذلك الشاعر أو ذلك الكاتب أو المفكر فخذ مثلا كأبي نواس وابن الرومي، وشريحة مثلهما وأبو نواس قبل أن يتوب ويخلد للزهد كما روى لنا التاريخ وحدثنا في فجر حياته عن حياته اللهوية مع الشاعر حماد عجرد فلا يصح في بحثنا أن نعمم شعر أبي نواس حتى إلى أيام زهده بل نقف على آخر مرحلة من حياته اللهوية فندرس تلك الحياة التي يعكسها صورة من شعره حتى نصل إلى توبته فنقف ونفتح بحثاً وصفحة لا تمت للصفحات الأولى وأمامنا نموذج حي صورة من شعر الشريف الرضي عندما تقرأ حجازياته أو تشبيبه إذا كنت لا تعرف من هو الشريف الرضي وكيف عاش وفي أى مدرسة نمى غصنه الوريق تكاد تحكم عليه بأنه من أرباب العشاق الذين تاهوا في سوح الحب وهاموا في أجوائه وذابوا ذوب الضوء في بوتقة الغرام حتى نحلهم الحب فأصبح شاعرنا الكبير نضواً لا حراك به وهذه الصور التي سكب عليها الفن تحرك العواطف فتخضع لها وتُسمَّر القلوب ففي خلجاتها حب بلغ الهيام فكأنه قيس ليلى ولكن الشريف الرضي إذا اطَّلعت على حياته الواقعية التي

يتحرك على صعيدها ودرستها وعرفت زهده وإيمانه وما قام به من أعمال دينية ومقام رفيع تبعده كل البعد عن هذه الأجواء وإنما جاء شعره عن عفة لا تنطبق صورها على حياته العملية ولا تمُت لها من قريب أو بعيد إنما هي عفة الأنفس وفسق الألسن وكان عصره عصر انفتاح لا تزمت فيه، فالعالم والمفكر يعيش طبيعياً وليس له مظاهر من مظاهر التزمت إنما يعيش طبيعياً وعمله هو الذي يشهد له عند الله وعند معاصريه فمعاصروه وقراؤه عرفوا ما يدور في حياته فهم يعيشون معه ويدرسون عنده ولا يفارقونه إلا برهة من الزمن فالشريف الرضي ألفَّ مؤلفات تبحث عن الدين والإسلام ككتاب مجازات القرآن وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم حيث قالوا بأنه يتعذر وجود مثله وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين ويكفيه فخراً أنه جمع خطب الإمام علي عليه أفضل الصلاة والسلام سيد البلاغاء والفصحاء بعد الخاتم صلى الله عليه وآله وأسماه اسم اشتقه من بلاغة تلك الخطب وكيف أُلهم الشريف هذا الاسم (نهج البلاغة) إنه اسم ينطبق على تلك الخطب التي أثرت اللغة العربية وأعطت الإنسانية دروساً تربوية وعلوماً سبقت عصرها قبل أن تتحقق وتتجسد في عصرنا عصر القرن العشرين والواحد والعشرين فالإنجازات العلمية التي نشاهدها قد أشارت لها بعض الخطب (كتوليد الطاقة الكهربائية من الطاقة المائية) فالشريف الرضي

كان موفقاً كل التوفيق في وضع هذا الاسم على ذلك المسمى فهو جوهر تحته جواهر لا مثيل لها ولعله ألهم الشريف هذا الاسم كما يلهم الشعر فكان اختياره هذا الاسم لخطب الإمام عليّ سلام الله عليه موفقاً كل التوفيق ولم يجمع هذه الخطب في هذا الكتاب الذي سماه بالنهج إلا بعد تمحيص النصوص التاريخية وفي سند الرجال وقد ترك كثيراً من الخطب التي لم يصل لها قطعه في سند النص وقد استدرك بعد الشريف علماء ومفكرون جمعوا الخطب التي تركها الشريف الرضي في كتاب سميَ بمستدرك نهج البلاغة جمعت فيه الخطب التي لم يوردها الشريف في نهج البلاغة وهذه الخطب قد رواها المؤرخون قبل الشريف بمئات السنين بل تناقلها الناس والإمام علي عليه السلام موجود على قيد الحياة ولا أعرف السر لإنكار بعض مريضي القلوب الذين يقولون بأن هذه الخطب التي جمعها الشريف الرضي في نهج البلاغة ليست خطب الإمام عليٍّ أو كما عبر أحمد الزيات صاحب مجلة الرسالة أكثر النهج لا يعترف به للإمام علي عليه السلام وعنده كما عبر بهذه العبارة أكثره مدخول منحول ولا أعرف السر لهذا الإنكار أو التنكر وهو يعلم أن هذا الأسلوب يدل على قائله فالبليغ والفصيح أسلوبه يدل عليه ويتميز بقيم وأسلوب لا يتأتى لكل كاتب أو مفكر فنهج البلاغة يتميز بميزة لا تجد ذلك السر البليغ والحلاوة وانسكاب الكلمات

وصور المعاني والطلاوة في هذا الأسلوب الذي لا ترى عليه إسفافاً أو تبدلاً في الفصاحة والبلاغة من خطبة إلى أخرى، فكأنك تقرأ أسلوباً واحداً والبليغ أسلوبه شخصيته تعرف الشخصية من الأسلوب ويعرف الأسلوب من الشخصية فأسلوب البليغ هو نفس شخصيته وشخصيته هي أسلوبه كما حدثنا الإمام علي عليه السلام عن بعض الملاحم الغيبية التي أخذها من النبي الخاتم صلى الله عليه وآله فهو تلميذ الرسول معلمه ومربيه، والرسول معلمه فاطر السماوات والأرض الذي خلقه وألهمه علم ما كان وما يكون فأفضاها إلى الإمام علي حيث قال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألفُ باب من العلم يفتح لي من كل باب ألفُ باب كما بين الإمام علي (ع) بعض الملاحم الغيبية التي ألقاها من على منبره في عاصمة الخلافة الإسلامية الكوفة وهي كثيرة وموجودة في نهج البلاغة التي جمعه العلامة الشريف الرضي فعلى القارئ أن يرجع له فيرى تلك الثروة العلمية ونستشهد هنا بملحمتين إن صح لنا هذا التعبير « يأتي على الناس زمان يرى من بالمغرب من بالمشرق » وقد تحققت هذه الصورة عن طريق الأجهزة الحديثة كالتلفاز والهاتف والحاسوب، والثانية « يأتي على الناس زمان يأكلون فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف » وقد رأينا هذه الصورة حيَّةً نمارسها في حياتنا الطبيعية ولا أجهل السر لإنكار البعض لنهج البلاغة،

فإن إنكارهم واضح ومعروف وليس بمجهول، وكل مفكر يعرف سر هذا الإنكار، ولنعد لنكمل حديثنا الذي نريد أن نذيعه ونكمل حلقاته، هل الشعر دائما يمثل قائله ويعكس حياته وعصره فهو مرآة لتلك النفس وذلك العصر نعطي لمحة عن هذه الظاهرة وكيف إذا أردنا أن ندرس شاعراً معاصراً فهذا من السهل أن نقرأهُ من محيطه وحياته قبل أن ندرس نصوص شعره فنصل إلى الحقيقة التي تصلنا إلى أن شعره مرآة لحياته وعصره، أو شعره بعيد كل البعد عن حياته وعصره فخذ مثلاً الشريف الرضي شعره ليس مرآة لحياته الواقعية وشريحةٌ منهُ تمثل وتصور جانباً من عصره السياسي بخلاف المعري فإن شعره الفلسفي وقد نحى في ديوانه لزوم ما لا يلزم فلسفة عميقة جرته إلى آفاق غائمة فدخل في جوٍ مضبب من الشكوك وليل غائم من الريب فالمعري الإنسان الشاك كما يصوره شعره الذي هو مرآة لشكوكه وحيرته التي لم يقلع عنها حتى مات فهو يغاير ديوانه سقط الزند فالمعري فيه موحد مؤمن غير ذلك المعري الشاك وخذ مثلاً أبا نواس وأمرأ القيس فإنَّ شعرهما ينعكسان مرآة لحياتهما برغم الفاصلة الزمنية بين الشاعرين المتباعدين وشريحة تماثل الشريف الرضي كالسيد محمد سعيد الحبوبي في ديوانه المطبوع بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٣١ هـ حيث يقول السيد محمد سعيد في وصف بنت العنب.

خفف طبعي شربها   مثلما ذبيبها ثقل أجفانِ

وهو بعيد كل البعد عن هذه الحياة فهو من العلماء الزهاد الذين امتلأ قلبهم إيماناً وخوفاً من الله ويعيش في النجف الأشرف حاضرة الفكر الشيعي والنجف سماءٌ تشرق عليها أنوار الإمام علي عليه السلام القدسية التي تغمر النفوس بالإيمان وتبعدهم كل البعد عن الشرور والآثام المغريات والملهيات فهي محراب للعبادة والزهد والدراسة العلمية قد القى عليها الإمام عليَّ عليه السلام ظلال من القداسة والطهر، وشريحة أخرى من ذلك الشكل كالعلامة الشيخ عبد الحميد الخطي بن الإمام الشيخ عليَّ أبو الحسن الخنيزي، فإن شعر أستاذنا لا ينطبق على حياته التي عاصرناه وعايشناه معه فهو بعيد كل البعد عن حياته الشعرية التي تغاير كل المغايرة لحياته الواقعية فهو مستقيم ملازم محراب التعبد والتقى وهذا التقرير أقوله عن معاصرةٍ مشاهدة عاشه معه كل من عاصره والتصق به وقسم من شعر الخطي الذي ينتظم ويمثل شكاويه من الحياة ومن مجتمعه وما يلاقيه منه ومن الخطوب التي لابد منها لكل مؤمن مسالم فهي صورة من واقع حياته ومرآة تنعكس عليها خلجاته وانفعالاته، أما شريحة أخرى من طراز الشعراء الذين لم يلتزموا الحياة الدينية وخرجوا عن أفقها الروحاني كأبي نواس والمعري فقد وضعت لكل منهما دراسةً تخص كل واحد منهما في كتابٍ خاص أثبتُّ

فيهما أن شعر أبي نواس مرآة لعصره ومُجونه قبل توبته وزهده كما أثبت في دراستي عن المعري الشاك في الكتاب الذي وضعته بهذا الاسم المعري الشاك هو ليس بكافر كما اتهمه بعض الأدباء بالكفر كياقوت الحموي في معجم الأدباء وأمثاله من القدماء وكالأستاذ عباس محمود العقاد في عبقرية الإمام علي يقول عن المعري بل ظَنَّت بإسلامه الظنون وغالى الدكتور طه حسين في كتابه تجديد ذكرى المعري فبرأه من كل ناحية من نواحي التهم التي ألصقت به حول كفره وقال إنه فيلسوف لم يصلوا لأعماق هذه الفلسفة فرموه بالكفر، وكتابي المعري الشاك وقفت فيه موقف الوسطية التي خرجت بها من حقيقة دراستي ومن نصوص شعره في ديوانه لزوم ما يلزم فلم أتهمه بالكفر ولم أقف موقف الدكتور طه حسين أبرئه من كل لوثة علقت به فخرجت من شعره بعد أن درست حياته الخارجية عن محيط الشعر وبعد هذا التمحيص وجدت أن شعره في لزوم ما يلزم يعكس نفسه فهو مرآة تصور تلك الظلال النفسية فأوصلتني إلى حقيقة وسطية المعري الشاك، ونعود لشاعرنا الكبير الشريف الرضي العالم الجليل الذي خدم اللغة العربية وأثرى حرفها كما خدم الفكر العلمي وكتاب الله الذي هو المصباح للبشرية فكتب كتاباً عن مجازات القرآن ولا أريد أن أتحدث عن هذه الشخصية الفذة العملاقة التي انطوت في ظل عمرٍ

قصيرٍ ولعل هذا العمر انطوى لحكمة فهو لم يتجاوز الرابعة والأربعين من العمر ولكنه أخصب وأورق فكان ربيعاً مخضوضراً ترك في الحياة ثروة لا تقدر ولا تقاس بهذا العمر الذي هو عمر الورود فهنيئاً لك وقد عوضك خالقك بهذا الذكر الحسن وعوضك الله في الآخرة بالدرجات العلا في جنة الخلد، وأنا آسف كُلَّ الأسف لإهمال التاريخ لهذا العلامة الكبير والشاعر المجيد حيث لم يعطه بعض حقه لأنه ينتسب لآل الرسول ولمدرسة آل البيت ولأنه جمع خطب الإمام علي عليه السلام واسماها بنهج البلاغة لا أدري لأي النواحي ولأي ظاهرة من هذه الظواهر أعلل إهمال هذا المفكر الكبير والعملاق الضخم وقد أحس الشاعر الكبير وأشار لهذا الإهمال ولمسه في حياته فضرب مثلاً:

أنا النضار الذي يُضَن به

لو قلبتّني يمين منتقدي

وأنا أكتب هذا الكتاب برغم العوامل التي تقف في طريقي صخرة صلباء وثلوج متراكمة وارتباطات عائلية وواجبات اجتماعية وبرغم الظروف القاسية التي تقيدني بوقتٍ يكون أمامي كاتب أملي عليه لأن عيني لا تساعدني على أن أسجل خلجاتي بنفسي وهذه من الظواهر الزمنية التي يطغى على موجها

فيضبب أفق حياتي ويملأها ليل دامس ولكنني بفضل الله ومدده وما آتاني من عزم وطموح وشمس فكرية بددت هذا الضباب ومزقت ليله فأشرقت شمسه فكان هذا الكتاب وأمثاله فلله الشكر والمنة وهو المعوض لكل ما يفقده الإنسان بأفضل مما ذهب منه والحمد لله رب العالمين.

الشريف الرضي

(محمد بن أبي أحمد الحسين)

الملقب بالرضي الموسوي العلوي ذي الحسبين

٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م

٤٠٤ هـ - ١٠١٦ م

وليَ نقابة الطالبيِّين سنة ٣٨٨هـ، وكانت إليه إمارة الحجِّ والمظالم نيابةً عن أبيه ذي المناقب، ثم تولى بعد موت أبيه مستقلاً، وحجَّ البيت مرَّات وهو أمير الحجِّ، وهو أوّل طالبيٍّ جعل عليه السواد شعاراً يتميَّز به الطالبيون من غيرهم، وكان أوحد علماء عصره كما ننقل بالنص من مقدمة سماحة العلامة مفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ محمد عبده من كلمته التي قدمها في كتاب نهج البلاغة الذي كان إعجازاً في البلاغة وكيف لا يكون إعجازاً وكاتبه الإمام علي عليه السلام تلميذ الخاتم صلى الله عليه وآله فهو كما يلي ص٦ طبعة مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر بعضاً من كلام العلامة الشيخ محمد

عبده الذي نقله عن يتيمة الدهر (وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل قال صاحب اليتيمة وهو أشعر الطالبيِّين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين،ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق وقال بعض واصفيه رحمه اللّٰه كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الألفاظ قادراً على القريض متصرفاً في فنونه إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لايشق فيه غباره وإن قصد المراثي جاء سابقاً الشعراء متقطعة الأنفاس وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة وأجود ماجمع منه مجموع أبي حكيم الحيرى وهو ديوان كبير يدخل في أربع مجلدات كما ذكره صاحب اليتيمة وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم قالوا يتعذر وجود مثله وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين وله كتاب في مجازات القرآن وكان عالي الهمة تسمو به عزيمته على أمور عظام ولم يجد من الأيام عليها معيناً فوقفت به دونها حتى قضى، وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها إلى النهاية ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلات أبيه وقد اجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع والأصحاب).

وبمناسبة وصف صاحب يتيمة الدهر شاعرنا الرضي بالعفة المتناهية والعفة التي أشار إليها لم يقصرها على عفة الفرج بل هي عفة متناهية شاملة فشاعرنا الشريف الرضي كما صوره صاحب اليتيمة يترفع عن الصلات ويعف عن الهبات حتى من أبيه أو من ذوي رحمه ووقوفي عند هذه الظاهرة التاريخية لمناقشة الدكتور زكي مبارك أو الدكاترة كما تحلو له هذا التسمية حيث صور الشريف في دراسته في كتابه عبقرية الشريف التي تتكون من مجلدين كان الدكتور زكي مبارك موفقاً في تحليل الصور الشعرية لشاعرنا الكبير الشريف إلا أنه غلط غلطةً كبيرة لأن دراسته للشريف صور حياته صورةً من واقع شعره وجعل شعره هو واقع حياته وقال مجازفاً غيَر متروياً (هل قل الصلحاء حتى نشرفهم بالشريف) ما هذه المقولة يا دكتور هل دراسة المفكر أو العالم أو الشاعر بهذه الجمل الرخيصة التي لا تعطي أي ضوء من حياة الشاعر أو المفكر وكيف نسيت التاريخ الذي حفل بجانب من دراسة حياة الشاعر الكبير الشريف الرضي وأنت لست معاصراً له فلا يصح لك أن تدرس حياته من شعره فقط ولا ترجع في دراستك لحياته التاريخية وما اكتنفها من أحداث سياسية وتاريخية وملابسات زمنية ولعل الدكتور زكي مبارك عكس حياة الشريف على مرآة نفسه وحياته في لياليه الفرنسية والقاهرية فشاعرنا الأستاذ الكبير الشريف الرضي

برغم ما يحمله من شخصية إيمانية تترفع عن هذه التفاهات فكيف لشخص له هذه المراتب العليا فكيف بقيادته ورئاسته لموسم الحج في كل عام الذي يأمه من كل قطر إسلامي وحتى الأقطار الأوربية والأمريكية من المسلمين الذين يتواجدون في ذلك الموسم الإيماني وقد اسدللت على هذه الظاهرة من خلال تحليلي لصور أشعار الشريف الرضي كما أيدني نفس الشاعر وحقائق التاريخ قالت لي إن برهانك في هذه الظاهرة ومرثياتك في عفت الشريف وصلاحه لبرهان واقعي لا مراء فيه ولا جدل

إنني أريد أن أتحدث حديثاً عن أحد الرموز الضخمة الذي جاء التاريخ قطعة من حياته وتركت بصماته على صفحات الحياة تقرأ أحرفاً فيها أسرار عميقة تحتاج للوقوف عندها طويلاً أمام تلك الأسرار وتحليلها وقراءتها، إنَّ العبقري ليقف أمام هذه الشخصية بإعجاب وإكبار هو ذلك الرمز الشريف الرضي الذي ملأ الدنيا بآثاره وكتبه العلمية ومن تلك الكتب حقائق القرآن ومجازاته، ودوت ألحانه تملأ الحياة بلحن حزين ولحن غنائي يغني بأسرار الحياة وبجمال المرأة التي هي الحياة والحياة المرأة وأمثالٍ تصور خلجات الإنسان وحياته وقد أطلق عليه بعض النقاد بودلير العرب الشريف الرضي فهو اسم على مسمى ولا نريد أن نتحدث عن الشريف الرضي العالم المؤلف أو الفقيه المعلم أو المفسر للقرآن فإنّ آثاره التي تركها كانت تتحدث في أنواع من

الحياة العلمية والفكرية، فقد أسس مدرسة علمية في بغداد وأجرى على طلابها مرتبات شهرية ونظم المدرسة كأمين للصندوق وخازن للأثاث ومدير مكتبة ومسؤول عن الطلاب فكانت في عصرها مثالاً رائعاً سبقت العصر الذي يعيش فيه، وكان أستاذه العلامة الشيخ المفيد، وقد ربته هو وأخوه علم الهدى الشريف المرتضى أمهم فاطمة بنت الناصر عندما سجن والدهما فأحسنت تربيتهما وعوضتهما عن حنان الأبوة بأمومتها الفياضة الرؤوم، وقد أشار لهذه التربية والرعاية الشريف الرضي في رثائه لوالدته وقد رأى أستاذهما العلامة الشيخ المفيد رؤية في المنام أفزعته كأنّ السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ع) أتته في المنام بابنيها الحسن والحسين (ع) فقالت له علمهما ففزع من هذه الرؤية وظل وجلاً حتى جاءته فاطمة بنت الناصر بابنيها الشريفين المرتضى والرضي وطلبت منه تعليمهما ففسر الرؤية على ضوء هذا الواقع فارتاح نفسيّاً فاطمأن لرؤياه وكان الشيخ المفيد من القمم العلمية الضخمة التي لا يجود الزمن بمثلها إلا على ندرة وقلة ولكننا نتحدث هنا عن الشريف الرضي الشاعر لا عن الشريف الرضي السياسي ولا عن موقعه الاجتماعي ولا عن طموحاته للخلافة حيث إنه أهلٌ لها وما له من دور في ذلك العصر فكان في مجتمعه رمزاً ضخماً يحل مشاكله وحتى رشحه بعض السياسيين للخلافة فقاموا له بالدعاية، وحديثنا عن

الشاعر الذي قال في شعره القدماء من أراد أن يكون شاعراً فليحفظ حجازيات الشريف وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن الرومي، وإن كانت هذه المقولة لا أؤمن بها ولكنها تعطي نوعاً من الإكبار لهؤلاء الشعراء الذين دوّى شعرهم في الدنيا وبقي يدور مع دورة الشمس.

ولو أردنا أن نتحدث عن الشريف الرضي وعن طموحه وعن مواقفه السياسية والإجتماعية لضاق الحرف بمناقبه وكفاه شرفاً أنه ينتمي إلى فرع الدوحة الرسالية التي هي أُسُّ كل خير وبركة ورحمة على هذا العالم، فالشريف الرضي كان دوره في الحياة الاجتماعية وفي وسط السياسة والسياسيين دور خطير حيث قام له دعاة لترشيحه للخلافة وهذا من طموحه وحتى صور هذا الطموح في قصيدة يمدح بها الملك العباسي المقتدر حيث يخاطبه :

ابن ام الندى

عطفاً أمير المؤمنين فإننا

في دوحة العلياء لا نتفرقُ

ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ

أبداً كلانا في المعالي معرقُ

إلا الخلافة ميزتك فإنني

أنا عاطلٌ منها وأنت مطوقُ

فلما سمع المقتدر هذه الأبيات قال : على رغم أنف الشريف، وهذه الجملة تدل على رفعة الشريف والخوف من مكانته الاجتماعية ومنافسته لحكام بني العباس لأنهم يرونه أعرق منهم في المجد وأقرب للخلافة لقربه من الرسول الأعظم الخاتم (صلى الله عليه وآله) ولمكانته العلمية والاجتماعية، ولا نحب أن نطيل هذا الحديث لأننا نريد أن نقصر حديثنا على نصوص الشريف الشعرية وإن كنت قد تحدثت عن بعض النصوص في عدة مقالات

لي وأذعتها في بعض المؤلفات التي طبعت كالشعر ودوره في الحياة، وأضواء من النقد في الأدب العربي، وفي بعض المؤلفات الأخرى، وعوداً على بدء، أعود هنا لأتحدث وأرسم صورة عن بعض حجازيات الشريف التي هي صور من قلوب خافقة ومقلٌ سحرية فاتنة فحجازيات الشريف ليست هي شعر فقط إنما هي سحر وإبداع تجسد فيها الفن وجاء فيها الشريف بمعان مبتكرة وبصور جديدة لم يجترها من الشعراء السابقين الذين عاشوا على مائدة التقليد ولم يأتوا بشيء جديد وإن كنت لآخذ على الشريف في غير الحجازيات منهجه في بعضٍ من شعره نهج فيها على صورة الشعراء التقليديين فهو يتحدث عن نجد والصحراء وعن الجبال وعن الرمال وهو يعيش في مدينة السلام في بغداد على ضفاف دجلة وبين الأشجار والزهور والحدائق والقصور ولعل هذه الظاهرة التقليدية علقت به واستوحاها من ذهابه وإيابه في كل عام للحج وهو الأمير المطاع فيمر بالصحاري والرمال والجبال ووهج الشمس وما تتركه على تلك الوجوه وحرارة القفار وما يشاهده من تلك المناظر الصحراوية فنعلل هذه الظاهرة التقليدية لعلها لم تكن تقليدية وإنما كانت استيحاء من مشاهداته وتجواله في رحلاته الطويلة وإن كان بودي أنَّ الشريف لم يمر بهذه الظاهرة ولم يكتب صورها في شعره ولكن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

وأريد هنا أن أتحدث عن ظاهرة فكرية تجسدت صوراً في شعر الشريف الرضي ولعله كان من أحسن المجودين الذين بلغوا في تحليقهم إلى قمة البلاغة وسجلوا صوراً حية متحركة نشاهدها كما نشاهد الفجر والشمس في حياتنا فالشريف الرضي جوّد في الحجازيات وأبدع فيها وابتكر صوراً لم تكن الشعراء تولدُّها أوتأتي بها في صور أشعارهم والذي أريد أن أشير له هنا أنه كما أجاد في الحجازيات أجاد في الرثاء ولا تنسى الأمثال التي اقتبسها وجسدها من واقع الحياة ومن خلجات النفوس وخطراتها فبحثي سأقصره على أربعة أقسام الحجازيات، والرثاء، والأمثال، وصور من شعره التي كتبها في معاني متفرقة.

باب الرثاء

إن الرثـاء تعبيـر يتـنفس الثاكـل فـي جـوه حـين يثكَـل فـي حبيبه فتغيم الحياة في عينه ويفغر جرح الثكل في قلبـه وتلاحقـه صـورة حبيبـه فـي حركاتـه وسـكناته فـالمؤمنون الواثقـون بـالله والمتوكلون عليه يفزعون إلى الآيه القرآنية التي هي بلسم لجرح المصاب قال تعالى: (إن الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنـا إليـه راجعـون أولئـك عليهم صلوت مـن ربهـم ورحمـة وأولئـك هـم المهتدون) وهـي وصفة شفائية تشفي من تلك الجـروح وتعيـد العبـد إلـى طمأنينـة ورضـا وتـسليم، والـشعر الرثـائي يتكـون مـن صـور وألوان، فهو تعبيـر ينبـع مـن قلـب الـشاعر، أحيانـاً مـن قلبـه وجفنـه عنـدما يفقـد أخ لـه أو أب أو زوجـة فهـذا الـشعر ينـز مـن جراحـات المصاب، وأحيانا يكـون تعبيـراً علـى لـسان فاقـدٍ، فالـشاعر يمثلـه ويجسد مصابه وأحيانـاً ينبـع الرثـاء مـن قلـب شـاعرٍ أثـر عليـه فقـد صديق له أو شخصية مفكرة خدمت العلم والأدب والفكـر فعلـى الأدباء والعلماء تقديرها وتأبينها وتصوير محاسنها وما لها من أثر فكري وطـابعٍ تـاريخي وتركهـا فـراغ فـي ذلـك المجتمـع وأحيانـا يكون الرثاء وفاء لصديق واساه في تلك الحياة فأوحشه فقده فهو يصور ذلك الفقـد والوحـشة التـي أعقبهـا صـديقه فـي فـراغ حياتـه،

وهناك فرق بين الشعر الرثائي وشعر المدح، فالمدح عندما يمدح الشخص في حياة فهو يصور ما له من محاسن وجهود قدمها في هذه الحياة وتارة يجيء المدح للكسب ومن أجل المال فقط وإذا فتشت عن ذلك الشخص الممدوح لا تنطبق عليه صورة ذلك الحرف لا من قريب ولا من بعيد بل هو عارٍ عن كل ما جاء في هذا الحرف من صفاتٍ ألصقها به لكسب المال وأخرى تزلف للسلطان والمال حتي يمنحه الرتب والنضار حتى يرتفع فيصبح شاعر البلاط أو خوفاً منه فينافقه ويتاجر معهُ لينجو من بطشهِ فيفرغ عليهِ ذلك الحاكم أثواباً من الثناء والمدح والألقاب ويستمر هذا اللون من الشعر ما دامت الحياة وما دام البشر يسير على هذا الكوكب المسمى بالأرض أما الشعر التأبيني فلا يكون إلا بعد الموت وقد يكون الشاعر فيه متصنع أو لأجل المال أو للتزلف لأهل المفقود فيضفي على مرثيه أطناناً من الصفات التي لا يعرفها مرثيه ولم يمر بها، وأحياناً يكون الرثاء نابعاً من جرح الراثي لان المرثي هو أخ أو ابن أو زوجة وبالمعنى الأدق أن يكون المرثي جزءاً من الراثي والرثاء يحس بفقده ووحشته مهما كان الرابط رحماً أو أبوياً أو روحياً كالمعلم أو أباً مادياً فيحس بهذا النزيز الذي ينز من قلبه وفارقه فراق لا عودة بعده وأصدق تعبير لأفصح فصيح البلغاء بعد الخاتم الوصي الإمام علي عليه السلام حيث يقول: (فقد الأحبة غربة)، تعبير بليغ

وتصوير لهذه الوحشة التي لا يحسها إلا من جرح قلبه وأحس بهذا الجرح وعاش هذه الغربة ليس بعد هذا التعبير تعبير أو تصوير لما يمر بالإنسان من فقد أبنائه وإخوانه وأحبابه، ليس بالسهل أن يودع ابنه أو أخاه أو زوجته في لحظة في التراب أمام عينيه فيعود صفر اليدين منهم لولا رحمة الله تهبط عليه وتمسح ذلك الجرح للحق بأحبابه ولكن الله يتدارك عباده بلطفه ورحمته وتهبط تلك الرحمة فتضمد تلك الجروح والإيمان بالله ومبادئ الإسلام الحَقة تُضيئ له وتمسح جروحه ولا تنسى الآية الكريمة القرآنية التي سلف ذكرها فهي وصفة طبية ما بعدها وصفة فهي حصن يلجأ إليها كل مؤمن يفوض أمره إلى خالقه ويتوكل عليه ويتصور أن ما فقد من أحبة أنها وديعة عنده معارة وفي غدٍ سوف يردُّ المعار والفاقدُ سيلحق بالمفقود طال عمره أو قصر ويصير إلى ما صاروا إليه أحبابه وإلى هنا نكتفي بما صورناه وعرّفناه عن شعر المدح وشعر الرثاء ونفتتح هذا الفصل الرثائي بقصيدة الشريف التي رثى بها والدته فاطمة بنت الناصر فكانت قصيدة تنز بالعاطفة وتلمس فيها قلباً خافقاً وجفناً دامعاً واقتبسنا منها مقطعاً وحللنا صوره ومعانيه فاستمع له.

ونريد أن نتحدث مع الشاعر الشريف الرضي ويسمح لي أن أخاطبه بلفظة شاعرٍ مجرداً من ألقابه العلمية وكفى بالشاعر كشاعر لقباً ووساماً فنحاوره ونعزيه في لحنه الباكي المأساوي

الذي رثى به والدته فاطمة بنت الناصر فكان في تلك الحروف قلباً خافقاً وجفناً دامياً وعيناً مسهدةً كتسهيد النجوم في أفق السماء فلنبدأ بمقاطع منها:

العمر روحة راكب

أبكيك لو نقع الغليل بكائي

وأقول لو ذهب المقال بدائي

وأعوذ بالصبر الجميل تعزّياً

لو كان بالصبر الجميل عزائي

إنه يخاطب والدته فيقول إنني أسكب الدموع عليك وأبكيك ولكنّ بكائي لا ينقع لي الغليل ولا يشفيه ولا يخفف عني الأسى، ولكنني مع هذه المصيبة سأرثيك وأنا أعلم أنَّ هذا المقال لا يذهب بدائي ولا يخفف عني هول المصاب وسيبقى مصابك جرحاً ينز بقلبي، ثم يفزع بصفته مؤمناً إلى الصبر.. الصبر الجميل هو مفزع لكل مؤمن مصاب بأي بلاء من البليات وملجأٌ ركينٌ لهُ.

ومن القصيدة :

قد كنتُ آمل أن أكون لكِ الفدا

مما أَلَمَّ فكنت أنت فدائي

وتفرُّق البعداء بعد مودةٍ

صَعبٌ فكيف تفرُق القرباءِ

وخلائق الدنيا خلائق مومسٍ

للمنع آونة وللإعطــاءِ

ويتغلغل الشريف في صورته المأساوية فيتمنى ما تتمناه الأمهات أن يكون لها الفداء ولكنّ القضاء شاء أن تكون أمه فداء له وكانت تتمنى أن تكون أمامه إلى دار الآخرة وهو يتمنى أن يكون أمامها ولكنّ أمنياته لم تحقق ما تمنته فكانت أمامه إلى الدنيا الباقية، وعاد الشريف بعد وقوع هذه المصيبة المؤلمة المُرة ينسج لهُ جواً من السلوةِ ليخلد فيه إلى الراحة بَعد اللغوب فإن الحياة لا تدوم فهي تشبه المومس تارةً تعطي وأخرى تمنع وهكذا الحياة بين حزن وبسمة وسلب وإيجاب.

ومن القصيدة أيضاً :

لو كان مثلك كل أم برَّةٍ

غني البنون بها عن الآباءِ

كيف السلو وكل موقع لحظةً

أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي

وتغلغل الشريف في ذاكرة الزمن القديم وتذكر أيامه.. أيام محنتهم حينما سجن والده ورَعَتْهُ أمه وأحاطته بحنان الأم الرؤوم وعوضته عن حنان أبيه القابع بعيداً عنهم في إحدى زنزانات سجن القلعة، فهو يعطي صورة عن ذلك الموقف فيصور لو أنّ الأمهات كمثل هذه الأم لاستغنت الأبناء عن الآباء لأنها جمعت ما يقوم به الأب والأم فهي صورة يشاهده في كل زاوية من زوايا حياته الشخصية ومنعطف من منعطفات دنياه فهي ماثلة في كل خلجة من خلجات حياته وفي كل حركة من حركاته وسكناته.

ومن القصيدة :

قد كنت آمل ان يكون أمامها

يومي وتشفق أن تكون ورائي

لقد أعطينا صورة عن هذا البيت الرائع في التصوير الآنف والشريف الرضي أبدع في الرثاء وأعطى صورة حية متحركة كما أبدع في غزله وفي حجازياته ضروب الإعجاز، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على العاطفة التي تنبع من معدن الشخص

فتصور هذا الحنان وهذا الحب الذي يكنه الشخص لأحبابه الموتى أو أحبابه الأحياء وإن كان في ميزان الأوفياء تميزه رجوحه للأحباب الموتى لأنهم فارقوا هذه الحياة فلا رؤية ولا لقاء ولا حديث إنما يراهم أشباحاً وصوراً كانوا معه فغربوا عنه وفارقوه فراقاً لا لقاء بعده وهنا تعبير دقيق يمس الواقع وقد صور الإمام عليّ (عليه السلام) هذا الفراق تصويراً دقيقياً حيث عبر بهذا التعبير التصوري الواقعي (فراق الأحبة غربة) فهذا الحنين الذي يتجسد في قلوب الشرفاء والأحرار إن دل على شيء فإنما يدل على الوفاء الذي يتغلغل في آفاق نفس الشخص وقليل ما هم.

من قصيدة قالها يرثي صديقاً له :

مالي أودع

ما لـي أودع كل يوم ظاعناً

لـو كنت آمل للوداع لقاءَ

ونتحاور مع هذا الشاعر العظيم العملاق اسمعه كيف يصور هذه المأساة التي تمر على كل شخص صباحاً ومساءً في كل يوم نودع حبيباً ونشيعه إلى مقره الأخير، وإنه لا يأمل بعد ضعون هذا الحبيب وفراقه أملاً في اللقيا وفي هذه الحروف حسرة وتلهف.

وقال من القصيدة:

وأروح أذكر ما أكُونٌّ لعهده

فكأنني استودعته الأحشاءَ

فرغت يدي منه وقد رجعت به

أيدي النوائب والخطوب ملاءَ

تشكو القذى عيني فيكثر شكوها

حتى يعود قذى بها اقذاءَ

شرق من الحدثان لو يرمى بـه

ذا المـاء من ألـمٍ أغـص المـاءَ

واسمع الشريف كيف يتحدث ويصور الوفاء والعهد، العهد الذي هو من الأيمان المغلظة فشاعرنا الشريف الرضى يرعى تلك العهود لأنه يعرف معنى العهد ويتمسك به لإيمانه ووفائه لأولئك الأحباب فأطياف ذكرى الأحباب لما يكنه قلبه من عهودٍ وقد أودعها أثمن خزانة في الحياة هي الأحشاء، الأحشاء التي لا يعيش المرء بدونها ويصور الشريف كيف خلت حياته من هؤلاء الأحباب التي عبر عنها بخلو كفه واحتوتهم كف المصائب والبلايا فهي ملئ بهم وكف الشاعر خلو منهم خالية الوفاض، فأصبحت عينه بعد فراق أحبابه تشكو من القذى فتتكاثر عليها العلل والشكوى فكان جرحاً تولدت منه جروح لأن جرح الفقد وجرحٌ نبت في عينه من كثرة البكاء الذي سببه الفقد حتي تحول القذى إلى ألف قذى وهذا التصوير تصورٌ دقيقٌ عميق، فيوغل الشريف في تصويره، فيصور هذه المصائب أنها شرقٌ من الأحداث لو آلامها مرت بالماء لغص الماء وهذا التصوير مقتبس من أن الماء يرفع الشَرق وكيف إذا كان الماء غص بالشرق وبهذا التصوير بلغ الشريف تصويره ذروة التصوير.

وقال من القصيدة :

أحبابي الأدنين كم ألقى بكم

داءً يمض فلا أداوي الداءَ

ثم يعقب الشريف مخاطب أحبابه بنداء فيه حسرة لا يكاد أن تمتد هذه الحسرة بل تختنق في صدره أيها الأحباب الأدنون أي القريبون إنَّ فراقكم لي ألقى منه عللاً كثيرة فتمتد بي هذه العلل ولا أستطيع شفائه

ولا أقدر على وصف الدواء للداء فأزيله

وقال من القصيدة :

أحيا إخاءكم الممات وغيركم

جربتهم فثكلتهم أحياءَ

ألا يكن جسدي أُصيب فإنني

فرقته فدفنته أعضاءَ

ويضرب الشاعر مثلاً حياً فيه وفاء وحنان فإنَّ ممات أحبابه أحيا إخائهم وكأنهم صور تتحرك في قلبه وعينه بينما الذين هم يدَّعون الأخوَّة وهم يطعنونه من وراء ظهره فقد فقدهم وهم أحياء فحياتهم كموتهم أما إخوانه الأوفياء فإنّ جسمه قد قطِّع أعضاءً وأشلاءً فدفن في الرغام وهنا الشريف يصور الأحباب الذين وُضِعوا في الرغام كأنهم أعضاء من جسمه وضع في ذلك التراب

مع أحبابه الأوفياء ما هذه الصورة الحية المتحركة التي تجسد الوفاء الحي والنبل والشهامة والعظمة.

ونقف مع الشريف لنتحاور معه في قصيدته التي رثى بها جده الإمام الحسين الشهيد بن الشهيد أبو الشهداء المصباح المضيء للأحرار عندما زار الشريف مرقد الإمام وتصور تلك المأساة التي يرعف منها الدهر دماء ويقشعر منها ظلال الحياة فهي لا تزال ترعف جرحًا صارخاً يضيئ للأحرار طرق الحرية ومجد الشهامة والكرامة تصور الشريف الرضي هذه المأساة فكتب قصيدته المأساوية بأسلوب رثائي تتردد نغماته كموكب عزاء فيه تعبيرٌ ينطق بمظاهرة احتجاجية يصرخ في وجه الظلم والظلمة ويناديهم ويشير للفتح الذي فتحته شهادة الإمام الحسين للأباة الذين يأبون الذل ويختارون طريق الحق في نصرة الدين والإسلام فاسمعه وهو ينشد قصيدته داخل الحرم الحسيني ويصف المأساة:

كربلا كربٌ وبلا

كربلا لا زلت كربا وبلا

ما لقي عندك آل المصطفى

كم على تربك لمّا صُرّعوا

من دمٍ سال ومن دمع جرى

كم حصان الذيل يروي دمعها

خدها عند قتيل بالظما

تمسح الترب على أعجالها

عن طلى نحر رميل بالدما

وضيوف لفلاة قفرة

نزلوا فيها على غير قرى

لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا

بحدى السيف على ورد الردى

تكسف الشمس شموساً منهُمُ
لا تدانيها ضياءً وعلا

يهتف شاعرنا باسم كربلاء لأن اسمها يرادف الكرب والبلاء وأي بلاء نزل في الدنيا أفظع من هذا البلاء الذي نزل على ريحانة الرسول وسبطه وحبيبه فيخاطب كربلاء في صورة شجيةٍ كربلا لا زلت كرباً وبلا وكم لقي عندك آل المصطفى أنهم لقوا مصارعهم صرّعوا على تربك فعندما صرعوا على ذلك التراب كم من دم سال من آل المصطفى الأطهار وكم دمعٍ جرى على ذلك التراب وحتى نسائكم الطاهرات المحجبات العفيفات اللاتي طهرن وشرفن بنبي الرحمة الخاتم (صلى اللّه عليه و آله) سكبت قلبها في دمعٍ جرى على خدها وهي صورة مأساة مجسدة أمام قتيلها المقتول ظمأً مع خوفها من سياط الأعداء فكأنها تؤدي هذه الرسالة على حظرٍ وسرعةٍ قبل أن تمنع من الجيش الأموي الذي تحولت قلوبه إلى حجر قاسٍ فهي مقلةٌ عجلى في لفتاتٍ من الإطراب والخوف في سرعةٍ لتقوم بتلك المهمة مع ما تحمل من مصائب وأحزان تكادُ تهد الجبال ومع حزنها تمسح التراب عن تلك الرقاب المرملة بالدم صورة رائعة وتصوير كأنك تعيشه مع تلك النساء المظلومات ويصور الشريف هذه المعركة أن الحسين سلام اللّه عليه وأبناءه وأصحابه ضيوف فلاة لا

ضيوف قرى فيها لأنهم صرعوا فأين القرى ولا تصل لأجسامهم الوحوش لتأكل منها إرادة من الله العظيم كرامة لآل النبي (ص) فهم لم يذوقوا الماء وقتلوا عطاش حتى ورد إلى شبى السيف وهم ظمأى وكسفوا كما تكسف الشموس ولكنهم في الفضاء أضواء أنور من الشمس وأعلى منها مجداً ورتبة فهم يضيئون في عتمة الليل وفي النهار، والشمس لا تضيء إلا في النهار.

وقال من القصيدة :

ميتٌ تبكي له فاطمة

وأبوها وعلي ذو العلى

لو رسول الله يحيا بعده

قعد اليوم عليه للعزا

وعليٌّ وابنه الباقر

والصادق القول وموسى والرضا

وعليٌّ وأبوه وابنه

والذي ينتظر القوم غدا

ويصور شاعرنا الشريف الصورة التي أحزنت الرسول والبتول والمرتضى فإن هذا المقتول الذي عبر عنه بميت تذرف

الدموع عليه أمه فاطمة وأبوها رسول الله الخاتم ووصيه المرتضى عليه السلام، فهذه المأساة هي مأساة النبي وآله لأنه ابن الرسول وريحانته حتى قال صلى الله عليه وآله حسينٌ مني وأنا من حسين فلو أن الرسول يحيى بعده لأقام مأتم عزاء وكان هو المعزى وأمه سيدة النساء وأبوه عليٌّ ذو العلى والأئمة أحد عشر كوكباً وهذه الصورة التي يجسدها شاعرنا الشريف تفطر قلب الصخر إذا كان له قلب وتبكي الجماد إذا كان له عين إن هذه المأساة لم تقع في الأمم السابقة وكيف بأمة تدعي أنها مسلمة موالية للرسول فتقتل أبناءه وتسبي حرمه وتسيرها من بلد إلى آخر كالإماء ولا معترض ولا مدافع إلا قليل منهم من ارتفع صوته يجهر في وجه الباطل وينكر عليه هذه الفعلة الشنيعة كعبد الله الأُزدي وأمثاله وهم قليلون.

ونتحاور مع الشريف في قصيدةٍ أخرى رثائية في جده الإمام الحسين مصباح الهدى وأبي الأحرار وفاتح طريق المجد فأسمعه يتحدث معنى ونختار منها مقاطع:

لله ملقى على الرمضاء

وربَّ قايلةٍ والهم يتحفني

بناظر من نطاف الدمع ممطورِ

خفض عليك فللأحزان آونة

وما المقيم على حزن بمعذورِ

فقلت هيهات فات السمع لائمه

لا يفهم الحزن إلاَّ يوم عاشورِ

يومٌ حدى الظعن فيه بابن فاطمة

سنان مُطّرد الكعبين مطرورِ

وخر للموت لا كف تقلبه

إلا بوطىءٍ من الجرد المحاضيرِ

ظمأن سلى نجيع الطعن غلته

عن بارد من عباب الماء مقرورِ

هنا الشريف يجرد من نفسه شخصاً آخر، وهذا أسلوب تصويري يسمى في البلاغة بالتجريد فهو جرد شخصاً آخر يخاطبه ويقول له والهم يتحفه وهو يسكب الدموع من ناظرٍ يسيل كالمطر خفض عليك من هذه الأحزان فللحزن وقت وينتهي والإقامة على الحزن دائما وأبداً لا عذر له فلا بد أن ينفض هذه الأحزان ويعود إلى حياته الطبيعية فكان جواب الشاعر لحناً حزيناً وصورة مأساوية إن لومك لا يسمعه السامع وفاتك هذه المقولة فالحزن لا يفهم إلا في يوم عاشوراء يوم خرج الحسين خائفًا من حرم جده وغير آمن في مكة يسير به الضعن وهو لا يدري أين يريح بدن ركابه ويصف المصرع المأساوي لابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث خر إلى الموت شهيداً وحيداً بلا كف تقلبه ولكن قلبته الخيول بوطىء جسمه الشريف بحوافرها فهل سمعتم قتيلاً في التاريخ توطئه حوافر الخيل ويقلب لها فتجري عليه ثانية وثالثة وكان قتله ظمآن سلى نقيع الدم غلته وكان هذا النقيع عوضاً له عن بارد من الماء فهذه الصورة يرسمها الشريف ويصور هذا المصرع الذي ارتكبته بنو أمية مع الصفوة من آل الرسول في أبشع صورة وحشية ويمضي الشريف في مآساته فيصور مصرع أبي الأحرار الإمام الحسين.

وقال من القصيدة :

كأن بيض المواضي وهي تنهبه

نار تَحكّم في جسم من النورِ

لله ملقى على الرمضاء عض بـه

فمُ الردى بين إقـدام وتشـميرِ

تحنو عليـه الربى ظلا وتسـتره

عن النواظـر أذيال الأعـاصـيرِ

فيعطينا صورة فيها زخم فكأن السيوف عندما هوت عليه كأنهم يتشفون منه ومن جده الرسول صلى الله عليه وآله كأن المواضي حين تنهبه في لمعانها وهي تهوي على جسمه ناراً تتحكم في جسم من النور وصوَّرَ الشريف الحسين ملقى على بوغاء كربلا في صورة عجيبةٍ يستغيث بالله فكأن فم الموت يعضه بين إقدامٍ وتشمير

وقال من القصيدة :

إن السلو لمحظور على كبدي

وما السلو على قلبٍ بمحظورِ

ويختم حرفه المأساوي بتفجع فيه كآبة لا تنقضي حيث السلو ممنوع على مُهجته دون غيره أما غيره فيُتاح له السلو وهذه في ذروة الكآبة والمأساة

ونتحاور مع الشريف في قصيدة أخرى لامية هي من روائع الشعر حيث صور فيها المآساة الكربلائية وافتتحها بصورة فيها دروسٌ وحكمةٌ من الواقع الملموس، فسماء كربلاء وما فيها من صور مختلفة الألوان تعطي المفكرين والشعراء وتلهمهم سماؤها إلهاماً مأساوياً وتعبيراً فيه زخمٌ وتصوير من أبدع البيان وأرفعه فاسمعه كيف افتتح سمفونيتة حزينة فيها صور تعبيرية سنوضحُ أسرار بلاغتها:

الأماني حسرة وعناء

راحلٌ أنـت والليـالي نـزول

ومضر بـك البـقاء الطـويـلُ

غاية النـاس في الزمان فناءٌ

وكذا غاية الغصـون الذبولُ

أنمـا المـرء للمنيـةِ مخـبؤٌ

وللطعـن تستـجـم الخـيـولُ

عادةٌ للزمـان في كل يـومٍ

يتناءُ خلٌ وتبـكي طلــولُ

فالليالي عونٌ عليك مع البين

كما ساعد الذوابل طــولُ

هي دنيا إن واصلت ذا جفت

هذا ملالاً كأنهـا عطبـولُ

كل باكٍ يبـكى عليـه وإن

طال بقاءٌ والثاكلُ المثكـولُ

فشاعرنا الشريف يصور الحياة والإنسان فيها فالإنسان مهما طال في هذه الحياة فهو راحل عنها والليالي تتجدد وتمر ولا تنتهي فهي نزولٌ مع الأيام وتتعاقب في حركة الحياة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وينبهنا الشريف في أسلوب فيه لفتة واقعية وسر من أسرار عدم البقاء وفيه فلسفة عميقة تشير إلى المصلحة الكونية التي هي من حكمة خالق الكون وخالق البشر فالبقاء الطويل مضر بالإنسان ولو لم يكن خلق الله الموت لما استطاع الإنسان أن يعيش في هذه الدنيا لما يمر به من ضعف وشيخوخة واهنةٍ حتى يبلغ به الضعف ويتغلغل في دمه وعظمه فيفقده الحركة فيحتاج إلى من يحركه ويأتي الدور والتسلسل وهذا لا يجوز ولا يقع لأنه ممنوع عقلاً لذلك كان الموت وعدم البقاء فيه مصلحة لهذه البشرية والخالق سبحانه وتعالى لا يقدر شيئاً إلا وفيه مصلحة ويضيف الشريف صورة فيها تسلية لأخيه الإنسان فالبطل الشجاع الذي يعارك الموت في رهج الحرب وهو يعانق البيض كما يعانق الغواني لا يبقى ولا آملٌ ولا مأمول، ويعلل هذه الفلسفة الواقعية شاعرنا الشريف أن الغاية من الحياة فناءٌ حتى نمضي إلى دار البقاء وفيها النعيم السرمدي والخلود ويضرب مثلاً يقرُب إلى الذهن مثل ما يفنى الإنسانُ كذلك تذبل الغصون والورد والشجر وهذا الفناء نشاهده كل يوم في أنفسنا ما يحيط بنا ففيه عبرةٌ وعظة والشاعر يصور حياة الإنسان في هذه الدار الفانية إنما هو

مخبؤ إلى يوم ينتقل من هذه الدنيا إلى الدار الباقية فهو يستجم لعله يفرش طريقه ويبني لهُ مستقبلاً سعيداً في أُخراه بأعماله الصالحة كما تستجم الخيول للحرب فالمرء مخلوق للمنايا، ويوغل الشريف في الصورة ليعطي عبرة تصورية من واقع حياة الانسان ففي كل يوم نشهد مصرع حبيب ينأى ونبكي طلولاً خلت من أهلها وهذا البكاء لم يكن من أجل الطلول إنما البكاء على ساكنيها التي أمست خلاءً وارتحل أهلها فتطوف في سمائها أشباح وحشة خرساء، ويكمل الصورة أيها الإنسان لا تطش جهلاً فالليالي هي حربٌ عليك مع البين وقد ساعدها القضاء كما ساعد النوابل وهي الرماح الطوال حتى تُمكن الشجاع من الطعن والنصر ولا تغتر بهذه الدنيا فإن الدنيا إن وصلت وأقبلت على شخص أدبرت عن شخص آخر وشبه الدنيا الفتات الملول كأنها عطبول أي المرأة الجميلة، ويوغل في الصورة ويضرب مثلاً واقعياً أن كل باكٍ سيأتي يوما يُبكى عليه ويصبح الثاكل هو المثكول يالها من صورة رائعة، وقال من القصيدة :

يا ابن بنت الرسول ضيَّعت

العهدَ رجالٌ والحافظون قليلُ

ما أطاعوا النبي فيك وقد

مالت بأرماحهم إليك الذحولُ

وأحالوا على المقادير في حربك

لـو أن عـذرهـم مقبـولُ

واستقـالوا من بعـد ما أجلبـوا

فيهـا ألآن أيهـا المستقيـلُ

ويتخلص من الصورة الحكمية الفلسفية ليلج إلى هدفه وهو خطاب لأبي الأحرار في أسلوب تصوري ويصف موقف الأمة من إمامها وبنت نبيها في قول واقعي يا ابن بنت الرسول إن أمة جدك أضاعت العهد ولم ترعه والحافظون على قلة وندرة ولم يكفهم تضييع العهد بل امتدت رماحهم لك ليطعنوك بها فهم إذ يطعنوك إنما يطعنون كبد الرسول ويفرونها لأنك أنت كبد الرسول ويعلل هذا الطعن لأن لهم ذحول وهي الثارات وأي ثأر لهم إنما أرادوا أن ينتقموا من السبط حيث إن جده الخاتم وأباه علياً قد قضى على مجد الأمويين الذين كانوا يعبدون هُبل، وأبوه علي كان السيف المصلط الذي يحارب به رسول الله ويقذفه في لهواتها فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه الفتح المبين، وأحالوا حربهم على المقادير وليس لهم عذرٌ في إحالتهم على المقادير لأنهم يعرفون حقيقتك ومن أنت ومن جدك وأمك وأبوك ثم أخذوا يستقيلون ويتنصَّلون بعد أن نفذوا رغباتهم ورغبات أسيادهم فالآن أخذوا يستقيلون من عملهم الشنيع ولا يجدي ولا ينفعهم تنصلهم

لا في دنياهم ولهم في الآخرة عذاب شديد لما أقترفوا فويلٌ لمن كان شفيعه خَصمه

ومن القصيدة :

والسبايا على النجائب تُستاقُ

وقد نالت الجيوبَ الذيولُ

من قلوب يدمى بها ناظر

الوجد ومن أدمع مراها الهمولُ

قد سلبن القناع عن كل وجهٍ

فيه للصونِ من قناعٍ بديلُ

وتنقبن بالأنامل والدمع على

كل ذي نقابٍ دليلُ

ثم انتقل الشريف انتقالةً بيانية إلى مشهد صور فيه بنات الرسول التي سباها بنو أمية وهن على الجمال بدون غطاء ولا حجاب وجيوبها تميل إلى ذيولها، فهي قلوب دامية وأجفان مرهَ إنسكاب الدموع في مشهدٍ حزينٍ، وقد سلبوا جميع الأقنعة ولكن العفاف حل محل القناع وهو بديل عنه، وتستر وجوهها بذلك الدمع الساخن الذي فيه فوران القلب، وبأصابعهن وكفوفهن فياله من مشهدٍ متفجع دامٍ، فهن يتنقبن بتلك الدموع وأناملهن

فهما دليلان شاهدان على ذلك المنظر الصارخ لتلك المأساة التي لم يمر مثلها في التاريخ فهيَ لا تزال ترعف بالدم

ومن القصيدة :

ياغريب الديار صبري غريبٌ

وقتيل الأعداءِ نومي قتيلُ

بنزاع يطغى إليك

وشوقٌ وغرامٌ وزفرةٌ وعويلُ

ليت أنّي ضجيع قبرَك أو

أن ثراه بمدمعي مطلولُ

ثم يصور الشريف هذه المأساة الفظيعة في صورة فيها حزنٌ صارخٌ وحرفٌ فيه احتجاج صارخ بالمظُلومية يا غريب الديار أيها الغريب في هذه الديار التي سفك فيها دمك إن صبري غريب وأيها القتيل للأعداء إن نومي قتيل وهذا تعبير لعله مولد وفيه زخم وصورة تنطق بالحزن والأسى ويوضح الشريف الملامح في هذه الصورة المأساوية، ففيه حب عارم ومأساة وعويل لهذه المصيبة الكبرى فلا يؤدي حقها إلاَّ أن يكون ضجيعاً عند قبر أبي الاحرار أو يسكب الدموع حتى يصبح ذلك القبر مطلولاً بدموعه

ونحب أن نختم باب الرثاء الذي أبدع فيه الشريف الرضي وقد حلق في باب الرثاء وفي باب الحجازيات فكان له السبق والشوط المتألق نختمه بهذه الأبيات التي رثى بها نقيب العباسيين وأبدع، ونأخذُ منها هذه الأبيات التي لا تتجاوز كف اليد فاسمعه وهو يضرب أمثالاً من واقع الحياة لحن يتغنى به الدهر وينشده ويردده في أعماقه أصداً تتجاوب مع الزمن وتتجدد كتجدد الشمس.

حسام أغمد في الضريح

إذا لم يعنك الله يوماً بنصـــرةٍ

فأكبر أعـوانٍ عليـكَ الأقــاربُ

وإن هو لم يعصمكَ منــه بِجُنةٍ

فقد أكتبتّ للضاربين المضاربُ

تناهى بنا الآجال عن كل مدةٍ

وما تنتـهي بالطالبين المطـالبُ

نغر بإيعاد الردى وهـو صــادقٌ

ونطمع في وعـد المنى وهو كـاذبُ

أفي كل يوم صديـق مصــادقٍ

يجيب المنـايا أو قـريبٌ مُقــاربُ

إن هذه الصورة لصورة ناطقة بالواقع ولكنه الواقع المـر إذا لم ترعـك عنايـة الله وينـصرك فـأكثر مـا يخذلك ويكـون عليـك أعـوان هـم أقاربـك وهـذه مـشكلة اجتماعيـة قـد وصـفها الـشريف

الرضي لعلنا نتنبه لها ونضع الدواء على الداء، ويؤطر الصورة فإن الآجال للإنسان محدودة وتنتهي به إلى المرفأ الأخير وينتهي من هذه الحياة الفانية إلى حياة باقية ولم يحقق من مطالبه شيء، فالبشرية لا تحفل بمستقبلها الأخروي فهو يغتر بميعاد الموت ويعلل نفسه بيومه وغده وهذا الميعاد صادق لا يتأخر ولا يتقدم، ويغتر بالأماني ويكرّس حياته ويظن أنه سوف يصطادها ويطمع في ميعادها ولكن ميعادها كاذب فلا يجني إلا الأوهام والخيال فيفاجأ بالموت الذي يخططفه من بين أحبابه فلا لقيا بعد هذه الساعات، وهذه الحقيقة عبرةٌ بين أيدينا وفي كل يوم بل في كل ساعة نشاهد بين أيدينا صديق أو حبيب يرحل عنا ولا نستطيع اللقاء به فقده حال بيننا وبينه البرزخ الفاصل بين الحياتين ولا يستطيع أن يتأخر رفة عين أو يتقدم عندما تأتي ساعة الأجل التي لابد منها التي تفرق بين الأحباب وتهدم اللذات هكذا إرادة الله وحكمته ليصلح به عباده وهذا الكون

فشاعرنا الشريف لما صور لنا هذه الصور في أسلوب فني أدائي وحرف تكاد تلمس ما فيه من حقائق تتجسد أمام عينيك وكأنك تعيش مع تلك الفصول والمناظر فهو شاعر رسام من الشعراء المصورين الذين جاءوا في عصرٍ غير عصرهم وفترة غير فترتهم وهو شاعر عملاق مجدد، فَإذا وضعناه في الموازنة مع شعراء ذلك العصر عمالقة الشعر فالحاسة الفنية تفضله على

تلك الشريحة وتعطيه أقصى ذروة في الثقافة والبلاغة وبرغم هذا وذاك كان الشريف ملك الشعر إن صح ذلك التعبير.

وقال :

خير ميتٍ من آل مروان

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين

فتىً من أميةٍ لبكيتك

غير أني أقول إنك قد طبت

وإن لم يطب ولم يزكُ بيتك

وقفةً مع الشريف نتحاور في رثائه لعمر بن عبد العزيز أحد الملوك الأمويين الذي لم تطل مدته في الحكم حيث اغتيل من طريق عائلته الأمويين لأنه بزهم ولم يسر على سيرتهم فألغى السب عن الإمام عليٍّ عليه السلام وعامل الهاشميين معاملة لم يعاملهم أسلافه من ذي قبل فلهذه العوامل اغتالوه ولهذه العوامل رثاه الشريف وكان الشريف مبدعاً في قَصيدته الرثائية كما فيها تحفظ دقيق حول رثائه لعمر ابن عبد العزيز فلنستمع له يتحدث معنا ونأخذ منها بعض الأبيات فالشريف يخاطب مرثيه خطاباً فيه حذر، فلو كان فتىً من أمية يستحق البكاء لبكت

عليه عيني ولكنه يستدرك فيخاطب مرثيه أنه طاب وإن لم يطب بيته ولم يزك أصله.

وقال من القصيدة :

ديــر سمـعـان لا أغبّـك غـادٍ

خير ميت من آل مروانِ ميتُك

أنت بالذكـر بين عيني وقلبي

إن تدانيت منــك او قد نأيتـك

ويلتفت الشريف لفتة عبقرية فينتقل فجأة من خطاب المرثي إلى خطاب محل القبر في أسلوب دعائي فينـادي المحل الـذي دفن فيه عمر بن عبد العزيز دير سمعان لا أغبك غادٍ فإني أدعو الله أن لا يترك زيارة هذا القبر بهذا المحل لأن ميته هو خير ميت من آل مـروان فـذكرك لا يـزال فـي عينـي إن قربـت منـك أو ابتعـدتُ عنك ولماذا أيها الشريف ؟ وكـان الجـواب منـه فـي مقولـة رثائيـة صريحة لا مجاملة فيها ولا مراوغة.

وقال من القصيدة :

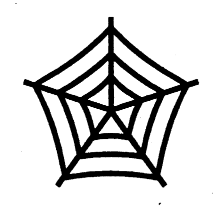
أنت نزهتنا عن السب والقذف.

فلو أمكنَ الجزاء جزيتُك

قرب العدل منك لما نأى الجور

بهم فاجتويتهم واجتبيتك

لأن العدل قريب منك وبعيد عن أسلافك ولهذه العوامل اجتويتهم أي أبعدتهم عن قلبي وقربتك له.



باب الحجازيات

إن حجازيات الشريف هي من الصور النابضة بشريان الحياة فهي قلوب تخفق وعيون تشير، فالشريف الرضي جاء بهذه القصائد التي عرفت بالحجازيات، كلها معانٍ تصويرية وغزل يصور المرأة ومكانتها في المجتمع، وفيها زحمٌ ومعاني ابتكرها الشريف ولم يسر فيها في أسلوبه على الشعر التقليدي من الشعراء الذين سبقوه فهم لا يرون المرأة إلا شهوة وجسد فهم يتغزلون بهما ولا يحملون ذرة من الحب الخفاق بالقلوب والحب ينقسم إلى عدة أقسام حب الله وهو أصح حب وأحق وأقدس حب وبعده حب الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وهذا الحب لابد أن نحبه أحب من أنفسنا وأهلينا وولدنا وإخواننا وإلا لم نكن آمنا بالله وبالرسول وبرسالته ويأتي بعده حبُّ آل بيته الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص الكتاب المُنزل على النبي الخاتم، وينزل الحب إلى درجات بعد هذا القسم كحب الأب والأم والأبناء والزوجة والإخوة والأصدقاء فالقلب إذا لم يعمره الحب فهو صحراوي أو صخرة صماء صامتةٌ لا حياة فيه ولا نمو فالجامد لا يتحرك ولا ينمو فهو ميت لا حياة فيه ويصح أن نقول المقولة الصادقة الحياة الحب والحب الحياة ويتفرع هذا

الحب عنه الحب الغرامي وهو الذي ينبع من قلوب العاشقين فالعشق قد يصل به العشق إلى جو الهيام فيهيم بمحبوبته فلا يرى أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله وفي دربه وفي نومه وفي يقظته إلا ذلك الحبيب الذي ملأ قلبه وارتسمت صورته في قلبه وعينه فلا تهدأ عواطفه إلا بلقياه فيصوره إذا كان شاعراً غزِلاً في ملاحم غزلية عندما تقرؤها تحس بقلوب خافقة وعيون فيها بوح وأسرار يقرؤها العاشقون الشفافون الذين يلتهمون الحرف من ذلك الجو الغرامي، والشريف الرضي يبتعد كل البعد عن آفاق الشعر التقليدي فصوره الشعرية تنطق بهذه الأسرار وتبرهن على رؤيتنا ففي عصره كانت شريحة من الشعراء يتغزلون ويكتبون شعراً نسيباً ولكن قد يكون تقليدياً فهم يعيشون في مدينة السلام وفي بلاط الملوك العباسيين الذين غرقوا في أحلامهم وسال النعيم من أكفهم وغطى الترف عليهم فأغدقوا على الشعراء والكتاب الذين يسيرون في ظلال قصورهم ويحققون رغباتهم فبعض من هؤلاء الشعراء يجترون غزلهم وشعرهم من ذلك الشعر التقليدي فهو نسخةٌ وصورةٌ من شعر امرئ القيس أو ذي الرمة أو زهير بن أبي سُلمة، فالشريف الرضي لم يسر على ذلك الأسلوب الذي سار عليه شريحة من شعراء عصره بل كتب شعره في أسلوب جديد لم يكن لذلك العصر عهد به فانفرد بتلك الصور والمعاني حتى قيل في المثل

القديم من أراد أن يكون شاعراً فليحفظ حجازيات الشريف وخمريات أبي نواس وحكميات المتنبي وهذه المقولة سواء لامست الواقع أو لم تلامسه فأنا لا أؤمن بها فالشاعرية هي هبة عبقرية من خالق الإنسان إنما تحتاج تلك الفطرة إلى تهذيب وتثقيف حتى تنمو وتخلق لها تلك الثقافة جناحين تطير بهما وتحلق في سماء الخيال وهذه جملة اعتراضية لابد أن تعترضنا لأنها من تمام تصوير مقولتنا فنعود إلى الشريف لنؤطر الصورة، صورة الحجازيات وما فيها من وثبات عبقرية قل أن يوجد مثلها في الشعر العربي فهي عواطف جسدها الشريف في حروف ناطقة بالحب، الحب الذي هو الحياة والحياة الحب فسوف نحلل هذه الصور في حديث نذيعه لعله يتمتع به قراء هذا الكتاب، ولابد من إشارة إلى غزل الشريف فإن غزله لم ينظر إلى المرأة شهوة وجسد فهو يصور المرأة عواطف وإنسان لا يستطيع الرجل أن يعيش بدون نصفه الآخر فالمرأة مكملة للرجل والرجل مكمل للمرأة فبيت بلا مرأة حديقة بلا ورود ومرأة بلا رجل حديقة لاسور لها وقبل أن نلِجَ إلى قصائد الحجازيات أحب أن أشير لماذا سميت هذه الشريحة بالحجازيات، هل كان الشريف الرضي لا يكتبها إلا في أرض الحجاز لعل هذا التفسير وارد وجائز غير أننا وجدنا بعض القصائد تدلنا على أنها لم تكتب في أرض الحجاز وسميت بالحجازيات فعلى سبيل المثال لا الحصر قصيدته التالية

عارضا بي ركب الحجاز أُسائلهُ

مــــتى عـــــهده بــــسكان ســـلْعِ

وشاعرنا الكبير في هذه القصيدة يخاطب فيها القادمين من الحجاز يسألهم عن أحبابه حيث فاته رؤيتهم بالعين فلعله يرى أخبارهم بسمعه وتسمى هذه القصيدة من الحجازيات ولعلنا نستخلص رأياً من ظاهرة تاريخية إن أكثر الحجازيات قالها الشريف على أرض الحجاز واستوحاها من سمائها والقليل كتبه في بغداد فغلب الكثير على القليل فأدخلوها في باب الحجازيات والله أعلم بالحقيقة ولا أدعي الصواب ولم أقرأ هذا الرأي أو هذه الظاهرة التاريخية لأديب أو مؤرخ أو محلل إنما ارتأيتها رؤية من نفسي عندما درستُ شعر الشريف لعلها تطابق الواقع أو تخالفه وللقارئ حرية الرأي في ذلك، فلنفتتح باب الحجازيات في تحاورٍ مع شاعرنا الكبير:

قالَ لي صاحبي

حيِ بين النقى وبين المصلى

وقـفـات الركـائـب الأنضـاءِ

ورواح الحجيج ليلة جمع

وبجـــمـع مجـامع الأهـــواءِ

وتذكّر عني مناخَ مَطيٍ

بأعالي منىً ومرسى خِبائـــيِ

وتعمد ذكري إذا كنت بالخيف

لظبـاءٍ من بعـض تلك الظبـاءِ

قل له هل تراك تذكر ما كان

ببـــاب القبيـبةِ الحــمــراءِ

قال لي صاحبي غداة التقينا

نتشاكى حـرَ القلوب الظمـاءِ

كنت خبرتني بأنك في الوجد

عقـيـدي وأن داءك دائـــــي

ما ترى النفرَ والتحمـل للبين

فماذا انتـظارنا للبـكـــاءِ

لم يقلهـا حتى انثنيت لمـا بي

أتلـقى دمعـي بفـضل ردائـي

وقفة معي أيها القارئ لنصور صور هـذه القطعـة السمفونية ومشاهدها فشاعرنا يصور لنا موقف العاشقين وكيف يتعاطون تحياتهم التي تخفق فيها قلوبهم بين حي النقى وبين المصلى و النقى تلعات من الرمال والمصلى محل ولكنها مسكن أحبابه ولعل الشاعر كان يطوف بهذه المحلات ويوضحها التعبير التالي في عجز هذا البيت إنها وقفات ولكنها ليست كالوقفات ولكنها وقفات تسمير القلوب والعيون على تلك النياق الهزال التي عليها تلك القلوب العاشقة الولهانة ولا يكتفي الشريف بهذا التصوير بل يصور رواح الحجيج في ليلة جمعهم بعرفة فهي ليلة جمع ولكنها جمع للقلوب ولا أدري ماذا يقصد الشريف في هذا الجمع أجمع الحجيج تحت هدف واحد هو تلبية دعوة إبراهيم الخليل أم جمع الصلاة أم جمع من يهواه قلبه ولعله أشار إلى المعنى الأخير وهو

لا يقصد إلا لفظ اللسان والخيال الذي يجنح به الشعراء دون صعيد الواقع فالشريف أقدس وأرفع من أن يتصوره ويحط من قدره كالشعراء الذين يتشببون بالنساء حول الكعبة كعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس ومن شاكلهما ولنعد إلى صور هذه السمفونية، ويؤطر شاعرنا الشريف الصورة فيطلب من رسوله الذي صوره من الخيال أن يتذكر صور أيامه الحلوة التي قضاها مع من يحبه بأعلى منى وفي الخيمات البيضاء، والذكريات صدىً لتلك الأيام فهي تحكي الماضي فما أحلى الذكريات إن انقضت أيامها ولكنها تبقى أطيافها الحلوة المرة، ويحدد شاعرنا الشريف لرسوله أن يتعمد ذكره ولكنه ذكر خاص لظبية من بعض الظبيات، ويوضح الشريف الرضي الصورة في رسالته الشوقية فيطلب من رسوله أن يذكر لتلك الظبية بالصور الشوقية والغرامية التي قضوها تحت القبيبة الحمراء وهي كناية عن تلك الخيام، ويحول شاعرنا الشريف هذه الصورة إلى قصة غرامية حيث قال له صاحبه أي حبيّبهَ حين تلاقى معه في تلك الساعة تحت القبيبة الحمراء فأفاضت منهما الشكاوات ولكنها شكوى حراء يعصر فيها قلبان بلغ بهما الشوق على جاحمٍ من لهيب، وذكره بالعهد حينما مزجهما الحب في قلب واحدٍ فأصبح في الوجد عقيدان وداء كل واحد منهما هو داء الثاني، ويذكره بيوم النفير المر حينما تهيء الركب ونفر للسير ساعة الفراق حين

نفر الحجيج فكان آخر اللقاء فذاب صبره حتى فاض قلبه في دمعه فتلقى دموعه بفضل ردائه وهل هذه الصورة فيها تكبير الملامح ومبالغة أم هي واقعية لا تخلو من تكبير الملامح والمبالغة ولعل الشريف لم يمر بهذا المشهد ولم يشهده إنما هو من سماء خيال الشعراء الذين يستوحونه من آفاق عبقر.

وقال في الحنين والاشتياق وهي من الحجازيات:

أعير الدموع

أيها الرائح المغذ تحمل

حاجةً للمعذب المشتاقِ

اقرعني السلام أهل المصلى

وبلاغ السلام بعد التلاقي

وإذا ما مررت بالخيف فاشهد

أنَّ قلبي إليه بالأشواقِ

وإذا ما سُئِلتَ عني فقل نضوُ

هوىً ما أظنه اليوم باقِ

ضاع قلبي فانشده لي بين جمعٍ

ومنى عند بعض تلك الحِداقِ

وابكِ عني فطال ما كنت من

قبل أعير الدموع للعشاقِ

وقفةً معي أيها القارئ العزيز لنتحاور في صورة شعرية لأستاذنا الشريف الرضي من حجازياته التي هي لوحات من الفن وصور من السحر بزَّ فيها الأولين وأتعب الآخرين وهو يعدُّ مجدداً للشعر ومبتكر لمعانٍ وصور لم يأتِ بها الشعراء السابقون ولم يبلغ لأفقها الشعراء اللاحقون وسأضع لك الصورة التي أعطيك عنها مرئياتي في هذه السيمفونية التي نقرأها في هذه السهرة.

يبدأ الشاعر برسالةٍ شوقيةٍ تفيض بالعواطف وأودعها في يدي أمينٍ جرده من خياله وتصورهِ فخاطبه بالرائح المغذ ما هي الحاجة هي حاجة عاشق معذب مشتاق ويطلب منه أن يحمل قلبه أنفاساً تذوب وحسرة تلتهب في سلام لأحبابه، فالسلام هو بعض اللقيا، وهذه من المعاني والصور التي أبدع فيها الشريف وانفرد بها وقد وجدت هذا البيت بطريقة أخرى في ديوان الشريف الذي شرح ألفاظه محمد ابن سليم اللبابيدي البيروتي طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ ص ٥٧٤ المجلد الثاني وهو بهذه الصورة :

اقرَعني السلام أهل المصلى

وبلاغ السلام بعد التلاقي

وهذه الصيغة لا تزيد على لغة العوام أو أبناء الشارع حينما يقول لأخيه إذا وصلت بالسلامة فاقرأ عني السلام وأجلُّ الشريف عن هذه اللغة والصحيح :

اقرعني السلام أهل المصلى

وبلاغ السلام بعضُ التلاقي

فانظر كيف ارتفع البيت إلى معنىً سامٍ وصورة مبتكرة جديدة فرؤية الشاعر الشريف الرضي أن السلام هو من بعض اللقيا كما نعد الرسائل أو المحادثة عن طريق الهاتف كلها من بعض صور اللقيا وهذه رؤيتنا في تصحيح البيت وتغليط الصيغة التي هي في الديوان إما أنه خطأ مطبعي أو خطأ من نقل الشرّاح الذي مضى على قول شاعره قرون طويلة.

ونترك القصيدة للقارئ للتأمل في صورها:

وقال :

ليالي مقمرات بالغواني

من معيدٌ لي أيامي بجزع السمراتِ
وليالٍ بجمعٍ ومنى والجمراتِ
وظباءٍ حالياتٍ كظباءٍ عاطلاتِ
رائحات في جلابيـ ـب الدجا مختمرات
راميات بالعيون النـ ـجل قبل الحصياتِ
ألِعَقْرِ القلب راحوا أم لِعَقْرِ البُدناتِ
كيف أودعت فؤادي أعيناً غير ثقاتِ
أيها القانص ما احـ ـسنت صيد الظبياتِ
فاتك السرب وما زو دت غير الحسراتِ
يا وقوفاً ما وقفن في ظلال السلماتِ
موقفاً يجمع فتيا ن الهوى والفتياتِ
نتشاكى ما عنانا بكلام العبراتِ
نظرٌ يشغل منا كل عين بقذاةِ

كم نأى بالنفر عنا ... من غزال ومهاةِ

آه من جيدٍ الى الدا ... ر كثير اللفتاتِ

وغرامٌ غير ماضٍ ... بلقاءٍ غيرُ آتِ

فسقى بطن منى وال ... خيف صوب الغادياتِ

وزماناً نائم العذ ... ال مأمون الوشاةِ

في ليالٍ كاللئالي ... بالغواني مقمراتِ

غُرست عندي غرس ال ... شوق ممرور الجناةِ

أين راقٍ لغرامي؟ ... وطبيبٌ لشكاتي؟

وقفةً معي أيها القارء أمام هذه اللوحة الفنية لنحدّق بقلوبنا وفكرنا في هذه الرسمة الغريبة العجيبة فالشريف الرضي أبدع في زخم وفي تعبير وصل به إلى قمة التعبير فاسمعه كيف يصور رسمته، افتتح هذه اللوحة باستفهامٍ فيه لهفة وحسرة و ثورة لا يستطيع أحد ردها مهما كان ومهما يكن : من معيد لي أيامي، وأين تلك الأيام أيام الحب والغرام حينما تجمعه تلك السهرة أو السمر بمنى أو بجمع أو بالجمرات إنه تصوير كأنك تعيش تلك الصور وتشاهدها بعينك كما تشاهد شريط سينمائي يعرض أمام عينيك إنها ليالٍ فلتت من العمر ولا تعود وفيها تلك الفتيات التي شبهها بالظبيات والعرب دائما تشبه الفتاة في رقتها وخفتها

كأنها ظبية عندما تعطوا وشاعرنا الشريف يصور الفتيات العاطلات التي ليس عليهن حلى كالفتيات الحاليات التي غير عاطلات فالحلى لا يزيدهن جمالاً لأن جمالهن طبيعي ويؤطر الصورة شاعرنا وهن في برودهن الحريرية كأنهن لبسن الدجى وتخمرن به ثم يثب الشاعر وثبة عبقرية فيصف عيونهن أنهن يرمين القلوب بتلك العيون النجل قبل أن يرمين الحصيات يالها من وثبة عبقرية حلق الشاعر بها وأطرها فهن يعقرن القلوب عندما ينظرن بتلك العيون قبل أن يعقرن نوقهن، ويغالي الشريف في تلك الصورة فقد وضع قلبه عند عيون غير ثقات فاللوم عليك أيها الشاعر ولكن الشاعر يجيبني بأنه السحرُ سحر العيون الذي يسمر الأشخاص حتى تصيره بلا حراك، ويحلق الشاعرفي سماء عبقر ويستلهم منها صوراً جديدة لعلها مبتكرة في أسلوبها وصيغها الشعرية فيجرد من نفسه شخص يخاطبه خطاباً فيه لوم وتأنيب وحسرة وشوق، أيها القانص لم تحسن صيد الظبيات فعليك الحسرة واللهفة والبكاء لأن السرب قد فاتك ولم تزود منه ولم تقنص منه إلا الندامة والحسرة، ولا تزال الصورة في هذه اللوحة الفنية الإبداعية تتجدد كأنها تصف حياتنا العصرية فإنَ هذا الوقوف في ظلال الشجر الذي جمع فتيان الهوى والفتيات في صورة شكوى ولكنها شكوى القلوب للقلوب في لغة الدموع يا لها من صورة رائعة تعكس حياتنا العصرية ولم يقصد الشريف

الواقع الملموس في عصره فهو أبعد من ذلك لما عرفناه من حياته العملية وتقاه وسوف نعطي صورة عن هذه الملابسات الشعرية التي لا تنطبق على حياته الواقعية، وينتقل الشريف من صورة إلى صور فيها زخم ومعاني غرامية فكانت أعينهم مشغولة بقذاة وما هي القذات، قد تكون هي ساعة الفراق عندما بدأ الفراق، والفراق مر المذاق وانظر كيف يصوره شاعرنا الكبير الشريف الرضي بتأوه فإن الجيد لا يزال يتلفت إلى الدار التي فيها أحباؤه فجيده مسمرٌ إلى تلك الدار فإن الغرام أي الحب الذي غير ماض هو جاحم في القلب يتسعر إلى لقاء ولكن هذا اللقاء غير آت فيزيد اللهب وهج إلى ذلك الوهج، ولا يزال شاعرنا كعدسة المصور التي تلتقط كل مشهدٍ تمر عليه فبعد أن دعا إلى منى بسقي المطرِ وكان المطر عاملاً مهماً في حياة ذلك العصر وحتى في عصرنا، فإن هذا الظرف* التصويري نام فيه العذال فهو مأمون ولياليه كلالئ تضيء تلك الليالي بالغواني المقمرات وهذه صورة تعبيرية رائعة فقد خلقت جواً سحرياً بكامل الصور في ليالٍ أقمرت بالغواني، ويختم هذه الصورة السمفونية بخاتمة زخم فأين الراقي الذي يضع المراهم على جرح الغرام وأين الطبيب الذي يبث له شكواه وهذا الراقي والطبيب هو الحبيب لا غيره.

وقال من الحجازيات :

أين أيام سلع

عارضا بي ركب الحجاز أسائله

متى عهدهُ بسكان سلع

واستملا حديث من سكن الخَيف

ولا تكتباه إلاَّ بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

ياغزالا بين النقا والمصلى

ليس تبقى على نبالك درعي

كلما سل من فؤادي سهم

عاد سهم لكم مضيض الوقع

وتحرجت يوم رحت حراما

من عطائي فمن أباحك منعي

من معيــد أيــامَ ســـلع عـلى

ما كان منها وأين أيـام سلع

طالبٌ بالعـــراق ينـشـــد

هيهـات زمانـاً أضلـه بالجـزع

ونتحاور مع شاعرنا الكبير الشريف في سمرٍ حجازي في لوحة فنية وصورة إبداعية فيها من الصور التي عبر عنها الشريف في لفتةٍ عبقرية مبتكرة لعله لم يسبق عليها كالرؤية للآذان فاسمعه وهو يصف لنا ذلك المشهد الذي يتساءل عنه في لهفةٍ وشوقٍ إنه يتساءل ويطلب أن يتعرض للوفود القادمين من الحجاز ذلك الركب يسائلهم متى عهدهم بسكن أحبابه ويطلب منهم أن يُكتب هذا الحديث الذي سيمليه هذا الركب عن أخبار حبيبه ولا يكتب الا بدمعه الدمع الذي فيه يتنزى قلبه من الشوق، وبعد رسم هذا الحديث بالدموع ويتحسر الشريف في لهفة عارمة لأنه لم يرَ بطرفه أحباءه في وطنهم ويتحدث معهم والحديث ريٌّ لصادئ الأرواح ففاته رؤية الديار، ديار الأحباب بالعين فأحب أن يراها بالسمع فهل السمع يرى كما ترى العين ؟ فإن للسمع حاسة فنية تصل إلى ما تصل إليه العيون ولعل السمع يبز العيون والبرهان على أن السمع هو الحاسة التي من أفضل الحواس في الإنسان قد يتعطل بصره وشمه ولمسه ويعيش بسمعه فيصل إلى قمة العلم

والأدب بهذه الحاسة ولا أذهب بك بعيداً، فالقرآن الكريم دائماً يركز على السمع ويبدأ بهذه الحاسة قبل الحواس الأخرى كالبصر، وسيد الفصحاء الإمام علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله قد شار في أحد خطبه في نهج البلاغة حينما توافي المرء المنية يتعطل أولاً نطقه وبعده بصره ويبقى سمعه إلى مفارقة روحه من جسده، فكان الشريف عندما جعل للسمع رؤية كان عبقري بليغ إقتبس هذا المعنى البليغ من كتاب الله ومن نهج البلاغة، ثم يؤطر الصورة فيشبه حبيبته بالغزال بين النقا والمصلى ولكن سهامها لا تقي الشريف دروعه من سهام تلك العيون على مقاومتها فسهام العيون تنفذ للقلوب فلا يحجبها دروع ولا جلود وفي الديوان كلمة ليس تبقى وهذ غلط إما من الطبع وإما من الشراح فقد خسفت البيت كلمة تبقى وأنزلته من قمة البلاغة إلى السفح والصحيح أنها ليس تقوى على نبالك درعي فانظر كيف ارتفع البيت فالدرع لا يستطيع مقاومة هذه النبال أي نبال العيون أما كلمة تبقى فهي سخيفة في هذا الجو الشعري وليس لها معنى وقد دمرت البيت، ويؤيد ما ذهبت له من رؤيتي في هذا البيت الذي صححناه البيت الذي بعده وهو لكلما نز الشريف من فؤاده سهم ولكنه ليس السهم الذي يوجه من الحبيب إنما هو سهم نزيف من فؤاد يذوب حسرات في جاحم مجمر بلهيب الحب يأتي سهم من محبيه يمض الفؤاد من وقوعه فهذه الصورة تؤيد

الصورة التي هي في البيت السابق، ويخاطب الشريف محبوبه كيف يتحرج من حبيبه وهو ليس بأجنبي عنه بل هو حلال عليه ولعل هذا التحرج تحرج الدلال والتمنع والتغنج والشوق فالصورة متحركة في العطاء وفي استفهام فيه تقرير : فمنْ ذا الذي أباح لك منعي أن أُرويَّ هذا الفؤاد الظامئ اللهفان، ويؤطر الصورة في لهفة هل يعيد الزمن تلك الأيام، أيام الأحباب بسلعٍ وجزعٍ فأين هي فإن ذلك الطالب لتلك الأيام الحبيبة هو بالعراق فهيهات أن يعود ذلك الربيع ربيع الحب بمنى وجزْع.

ومن الحجازيات :

ما أمرك وما أحلاك

ياظبية البان ترعى في خمائله

ليهنك اليوم إنَّ القلب مرعاك

المـاء عندَك مبذول لشـاربـه

وليس يرويك إلا مدمعي البـاكي

أيهـا القـراء نحـن الليلـة فـي سـمرنا وسـهرتنا نـشاهد لوحـة إبداعية وأطروحة فنية أو شاشة حاسوبٍ تنعكس فيها الحيـاة لمـا فيها من صور حب وأحلام وآفاق الهيام وتعبير من الغـرام والـشوق اللهفان كلها مشاهد تجسد أمـام عينيـك فـي حـرف مـن الحـروف التي قليل ما توجد في صور لغتنـا الحبيبـة اللغـة العربيـة التعبيريـة الرحبة الأفق فلنبدأ في عرض هـذه اللوحـة ونـرفـع الـستار لنـشاهد هذه الصور فشاعرنا مثّل حبيبته وخاطبها بالظبية ظبية البان وهذا اسم شفاف يخاطب بها الشعراء حبيبتهم ويصورهـا بالظبية لخفتهـا وما فيها من هيفٍ وإضمار وخفـة حتـى يقـال كخفـة الغـزال فهـي ترعى أو تأكل ولكن أيها الشاعر أين ترعـى هـذه المحبوبـة أفـي

الرياض أم في الخمائل إنما هي ترعى في خمائل القلب وهذا تعبير دقيق لعله لم يسبق له الشعراء الذين قبله لهذا التوليد من معنى فهو يهنئها لأنها تأكل وترعى من قلبه فنعم المرعى مرعى القلب، وإن الماء لمبذول عندها ولكن لا يرويها هذا الماء العذب ولكن ماذا يطفئ هذا الحريق المشبوب يطفئه الدموع التي ينسكب فيها القلب

ومن القصيدة :

سهم أصاب وراميه بذي سلم

من بالعراق لقد أبعدتِ مرماك

وعد لعينيك عندي ما وفيت به

ياقرب ما كذبت عينيَّ عيناك

حكت لحاظك ما في الريم من مُلحٍ

يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي

كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا

بما طوى عنك من أسماء قتلاك

أنت النعيم لقلبي والعذاب له

فما أمرك في قلبي وأحلاك

عندي رسائل شوق لست أذكرها

لولا الرقيب لقد بلغتُها فاك

هامت بكِ العين لم تتبع سواك هوىً

مَن علّمَ البين أنَّ القلب يهواك

ولا نزال في سهرتنا الشعرية الفكرية نشاهد هذه اللوحة الإبداعية وقد وثب بنا شاعرنا الشريف وثبة عبقرية فهذه الصور من وثبات العبقرية النادرة فإن رامي السهم لا يتعدى ميدان المعركة ولا يخرج عن حدودها ولكن سهام العيون يصيب بها راميها من ذي سلم إلى قلب بغداد العراق فما هذه السهام التي تطوي هذه الصحاري وهذه المدن حتى تصل إلى قلب محبيها لقد أبعدتِ مرماك وما هو بالبعيد على عيون الحبيبة التي تتصل وتتناجى القلوب مع القلوب وتتفاهم العيون مع العيون فهي تختصر الحياة كاختصار الضوء في سرعة مسيره وهكذا رسائل الحب تختصر كما يختصر الضوء المسافات، ويرسل لنا الشريف لغة الغرام والحب في رسائل العيون في رقة وشوق وحركة عاطفية : وعدٌ لعينيك لم تفئ به وسرعان ما كذبت عيني عينك أهذا من عدم الوفاء أو من الدلال والغنج فأقرب الظن أنه من الدلال وما يشبه تدلع الحبيب على محبوبه إنها صورة عجيبة ونكتة بيانية، وتصور معي هذه الصورة الناطقة التي تصور الحاكي من المحكي فالعيون في لغة الشعراء القدماء في جمالها

كجمال عيون الريم ولكن الشريف الرضي يولد لنا معاني جديدة مبتكرة فعيون حبيبته أخذت كل ما في عيون الريم من جمال ومِلح في وقت لقياهما ولكن الفضل والجمال للحاكي لا للمحكي لأن المحكي بما في عينه من جمال لا تستطيع أن تقضي الحوائج ولا تعبر عن الإشارات القلبية والصور الغرامية أما عين الحبيبة البشرية فهي تتحرك وليست جامدة فتصور إشارات العيون وخلجات القلوب ورسائل الغرام فهل صورة أبلغ من هذه الصورة، وصوَّرَ الشريف الرضي الصور التي في شعره حكاية للعيون وكأنها في إشارتها تخبرنا عن أسماء الذين راحوا ضحية تلك العين فيالها من نكتة بلاغية غريبة لعله لم يسبقها شاعرٌ قبل الشريف في هذه الصور وتوليد هذه المعاني الجديدة، ويؤطر الشريف الصورة في حرف متحرك فهي النعيم لقلبه والعذاب، فهي تجمع الضدين فحبها نعيم لقلبه وفي الوقت هو عذاب له فهي مرة في قلبه وحلوة وهذه من الصور التي صور فيها الشريف كيف يتنعم المحب ويتعذب في أجواء حب الحبيبة والشوق لها، ويغرب شاعرنا الكبير في تصويره لهذه المشاهد وهذه اللوحة التي هي معروضة على اليوتيوب : عندي رسائل شوق، ما هذه الرسائل هي رسائل الغرام أم هي رسائل القلوب لأن الشريف ينير الصورة بالضوء فلولا الرقيب لكانت هذه الرسائل تقبيل فاه الحبيبة وهنا الرقيب عند الشريف هو الخالق لا الرقيب الذي يفهمه السطحيون الذين لا يعرفون الشريف، ويثب شاعرنا وثبة

عبقرية فيطلع علينا بصورة مبتكرة جديدة إن العين هامت بمحبوبته ولم ترد غيرها حباً ولكنه يتساءل من أشعر العين وعلمها أن القلب يحب تلك الفتاة ويعشقها، إن الشعراء القدماء يرون العيون رسل للقلوب أما الشريف الرضي شاعرنا الكبير جعل العيون عالم منفصل عن عالم القلوب وهذه من الصور الشعرية المبتكرة التي لا أظن أحداً سبق بها قبل الشريف ونريد أن نعلق على بيت من هذه الوحة الفنية ورد في ديوان الشريف بهذه الصيغة.

هامت بكِ العين لم تتبع سواك هوىً

مَن علّمَ البين أنَّ القلب يهـواك

وكلمة البين هنا بانت بالصورة الشعرية في البيت فخسفته خسفاً كلياً وأنزلته من قمة البلاغة إلى السفح والصحيح

هامت بكِ العين لم تتبع سواك هوىً

مَن علّمَ العين أنَّ القلب يهـواك

أرأيت يا قارئي كيف عاد هذا البيت إلى صورته الشعرية المتحركة وما ربط البين بالعين لأن كلمة البين هنا دخيلة ولا ربط لها في الصور الشعرية ولا معنى لها وهذا خطاء أو غلط من الشراح للديوان أو جامعيه.

ومن الحجازيات :

ليلة السفح

يا ليلة السفح ألا عدت ثانية

سقى زمانك هطال من الديمِ

ماض من العيش لو يُفدى بذلتُ له

كرائم المال من خيل ومن نعمِ

لم أقض منكِ لباناتٍ ظفرت بها

فهل لي اليوم إلا زفرة الندمِ

فليت عهدك إذ لم يبق لي أبدا

لم يبقِ عندي عقابيلٌ من السقمِ

تعجَّبوا من تمني القلب مؤلمه

وما دروا أنه خلوٌّ من الألمِ

لقد عادت سهرتنا وحلى سمرنا ورق تحاورنا التحاور بين شاعرنا الكبير الشريف الرضي الذي أثرى اللغة العربية وطبع

على آفاقها طابعا على التاريخ لا يمحى حتى يخبوا هذا الكوكب المسمى بالأرض والتحاور مع هذا الشاعر الكبير في صورة ناطقة بالسحر من حجازياته التي جاء فيها بلوحات فنية وتحدى بها الشعراء أن يرسموا صوراً مثل هذه الصور، حدثنا أيُها الشاعر الكبير من وراء القرون واعرض هذه اللوحة شريطاً سنمائياً متحركاً، ياليلة السفح، إنَّ الشاعر الكبير يرسم لنا مشهداً من أيامه صوراً للغرام انطوت وراء جدار التاريخ ولكنها متحركة في هذا الحرف الخالد فالشاعر يتمنى في لهفة واستفهام تقريري فيه لهفة وحسرة هل تعود تلك الليالي مرة ثانية، ويعقب الشاعر في لهفته وحسرته صورة إنشائية في أسلوب دعاء أن يسقي السفح التي رُسمت بها ذكريات الحب هطّال من الديم، فيوغل الشريف في هذه الصورة الإبداعية، إنَّ هذه الذكريات هي ماضٍ من العيش قد انتهت ولو تعود بالفداء لبذل لها كل ما يملك من الفداء لأنه لم يقضِ منها لبانات التي ظفر بها ولم تبق منها إلا زفرات على وهج لهبٍ من الحسرات والشوق، ويصور الشاعر هذه الذكريات أنَّ ذلك العهد عهد الحب عهد اللقاء لم يبقَ ولم يطل فياليتها لم تبقَ له تلك العقابيل من السقم أي الإبلال من المرض، وتصور هذه الصورة المتحركة إن الشاعر يخاطب قرَاء شعره ويضرب لهم صورة من العجب، فالعجب كل العجب من قلب يتمنى مؤلمه وموجعه أن يحل بقلب كان خلواً من الألم.

ومن القصيدة :

لو أنها بفنـــاء البيـت سانحـــة

لصدتُها وابتدعتُ الصيد في الحـرمِ

قدرت منها بـلا رقبى ولا حــذر

على الذي نام عن ليلي ولم أنـمِ

بتنا ضجيعيـن في ثوبي هـوىً وتقـىً

يلفنـــا الشوق من فرع إلى قـدمِ

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا

على الكثيب فضـول الـريط واللـممِ

يشي بنا الطيب أحيانا وآونـــة

يضيئنا البرق مجتازا على أضـمِ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي

مواقع اللثم في داج مـن الظـلـمِ

وبيننا عفـة بايعـتـها بـيــدي

على الوفاء بهـا والـرعي للذمـمِ

يولّع الطل بردينا وقد نسمــت

رويحة الفجر بين الضالِ والسلَمِ

وأكتم الصبح عنها وهي غافلةٌ

حتى تكلم عصفورٌ على علمِ

فقمت أنفض بردا ما تعلقه

غير العفاف وراء الغيب والكرمِ

ويؤطر الشاعر الكبير الصورة لو وجد محبوبته في البيت الحرام لاصطادها كما يصطاد الظبية وابتدع الصيد في الحرم لأن الكعبة لا يهاج فيها حتى الطير، الشريف الرضي إذ جاءنا بهذه الصورة الإباحية الخيالية إنما صاغها للفن والشعر لا للفعل الواقعي فهو يحرص كل الحرص على صيانة الحدود الشرعية وفترته لم تكن فترة تزمتية بالقول؛ والفعل فيما يخالف القول إنما هي صورة من الشعر أبدع في صورتها ولم يرد منها الواقع إنما هو خيال ليبلغ به قمة البلاغة وقد أعطينا صورة دراسية توضح معالم هذه الشخصية الضخمة في فاتحة هذا الكتاب، ودلل الشريف على رؤيانا فأعطى صورة عن حياته العفيفة القدسية فصور الصورة الواقعة التي تنطبق على حياته فتحدث عنها في هذه الأبيات فهما ضجيعان ولكنهما في بردي عفة وتقى يلفهم الشوق من الفرع إلى القدم حتى أصبحت النسائم الرقراقة تجاذبهم برديهما وهما نائمان على الكثيب وتداعب الريط الحريري ولا ندري أيها الشريف هل هذه الغيرة من الحب والشوق

اللتين تمتعتما بهما في سماء خيال الشعر أم هي محضٌ من سماء الخيال والعفة هي واقعها كما صورتها في هذه السيمفونية بلا لقاء واقعي، أقرب الظن هذه الغيرة التي أثارها الحب والغرام حتى سرة الغيرة في قلب الريح فداعبتهما وداعبت برديهما وقد فضح سرهما الطيب ونم عليهما ذلك العطر الفواح والبرق يضيء لهما ولكن ذلك الثغر العذب يضيء لهما فيعبُّ من ذلك الثغر اللمى فهو يوضح له موقع اللثم والتقبيل في داج من الظلم، ويصور الشريف صورة متحركة تنبع من خلقِه الوفي فإنه بايع محبوبته بيدٍ فيها الوفاء لا تنكث العهد وترعى الذمم، وكان الطل يشعل برديهما ونسمات الفجر الهفهافة تمر سجسجاً بين الضال والسلم ويحاول الشاعر في صورة إبداعية أن لا تنفض تلك الليلة الغرامية التي لا يظفر بها العاشقون في حياتهم إلا على ندرة أن يكتم الصبح عنها ولكن زغردة العصافير وأنغام البلابل هتك السر وفضحهما الصبح، وأوضح الشريف الصورة العفافية التي أشرنا في رؤيانا في حياته ببيت فيه زخم وطهارة وشعر متحرك وقام عن هذه الليلة الغرامية ينفض برده لم يعلق به دنس وإنما صيغة من عفة وطهارة وهكذا حياة المؤمنين الصالحين كما أيد هذه الرؤية في هذه العفة النادرة حقائق التاريخ التي أحاطت بحياة الشريف وقد أشرنا لها سابقاً.

وقال قدس الله روحه يذكر أيامه بمنى وهي من الحجازيات:

أحبك

أحبك ما أقام منى وجمع

وما أرسى بمكة أخشباها

وما رفع الحجيج إلى المصلى

يجرون المطي على وجاها

وما نحروا بخيف منىً وكبوا

على الأذقان مشعرة ذراها

نظرتك نظرة بالخيف كانت

جلاء العين مني بل قذاها

ولم يك غير موقفنا فطارت

بكل قبيلة منا نواها

فواها كيف تجمعنا الليالي

وآها من تفرقنا وآها

فأقسم بالـوقـوف عـلـى ألالٍ

ومن شهد الجمار ومـن رمـاهـا

وأركان العتـيـق وبـانيهـا

وزمـزم والمقـام ومـن سقـاهـا

لأنتِ النفس خـالصة فإن لـم

تكـونيهـا فأنت إذاً منـاهـا

نظرت ببطن مكـة أم خَشـفٍ

تبـغم وهـي نـاشـدة طـلاهـا

وأعجبني ملامح منـك فيهـا

فقلت أخـا القرينة أم تـراهـا

فلولا أنني رجـل حـرامٌ

ضممت قرونها ولثـمتُ فـاهـا

ونعود لنعيش مع شاعرنا الكبير الشريف الرضي فنقضي معه سهرتنا الممتعة في لوحة من لوحاته الفنية في حجازياته التي ضرب فيها أسلوباً شعرياً تصويرياً رائعاً فهي في قمة البلاغة والبيان، يفتتح شاعرنا الكبير هذه اللوحة بقسمٍ لمحبوبته وهذا القسم بشعارين مقدسين وهي منى والمشعر ويضيف إلى قسمه

مكة المكرمة فهذا قسم عظيم، ويتوالى قسمه بالمناسك، حتى يصل إلى الصورة الغرامية التعبيرية التي يصور فيها صورة متحركة ناطقة بالحب في شريط سينمائي كأنك تشاهد ذلك المشهد حين نظر الشاعر محبوبته، ما هذه النظرة إن هذه النظرة كانت جلاء للعين ولكنها بعد لحظات انقلب الجلاء إلى قذاء في العين فما هذان الضدان في صورتين متعاقبتين ؟ إن هذا لهو السحر سحر البيان، ولم تكن تلك النظرة إلا وقفة من وقفات الضوء أو البرق الخاطف وتصور معي كيف أعقب هذا الموقف صورة الألم والتأوه كيف جمعتهم الليالي وآهات بعد لحظات كيف فرقتهم الليالي، وهكذا الحياة اجتماع يعقبه فراق وما أَمَرَّ الفراق فإنه مر المذاق، ويعود شاعرنا للقسم بتلكِ المناسك المقدسة ولماذا؟ ليصور لحبيبته إنَّ المحبوب هو نفس المحب خالصة بدون علائق وإذا لم تكن هي نفس المحب فهي مناه أهكذا التصور فما أبدعه وما أروعه، ويختم هذه السمفونية بإبداع وزخم وتصوير فيه فن دقيق، فنظرة ساحرة فقد رآها ببطن مكة غزالة تصوت وتبحث عن ابنها فأثارته تلك الملامح الجميلة الفاتنة، ويؤطر الصورة عندما فتنه هذا الجمال السحري لو لم يكن رجل حرام لضم قرونها ورشف من ذلك الثغر اللمى العذب صورة سحرية هل هذه اللوحة الفنية قصة مثيرة للعواطف والقلوب والعيون أم هي أطروحة لعبقري فنان.

وقال من لواحق الحجازيات وذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ

وقف الهوى بي عندها

عــــاد الهـــوى بظبـــاء مكـــــة

للقلـــــوب كمــــا بداهــــــا

وخبـــت عليـــك منـــى تبـــاريح

الغــــرام ومــــا زهاهـــــا

طربـــا علـــى طـــرب بهـــا

يـــارين قلبـــك مـــن جواهـــا

إنـــي علقـــت علـــى منـــى

لميـــــاء يقتلنـــــي لماهـــــا

راحـــت مـــع الغـــزلان قـــد

لعبـــت بقلبـــي مـــا كفاهـــا

تبغـــي الثـــواب فمهجتـــي

هـــذي القريحـــة مـــن رماهـــا

تزهـــو علـــى تلـــك الظبـــاء

فليـــت شـــعري مـــن أباهـــا

وقـــف الهـــوى بـــي عندهـــا

وســـرت بقلبـــي مقلتاهـــا

بـــردت علـــيَّ كأنمـــا

طـــل الغمامـــة عارضاهـــا

شـــمس أقبِّـــل جيدَهـــا

يـــوم النـــوى وأجـــلُّ فاهـــا

وأذود قلبـــا ظامئـــا

لـــو قيـــل وردك مـــا عداهـــا

ولـــو اســـتطاع لقـــد جـــرى

مجـــرى الوْشـــاح علـــى حـــشاها

يـــا يـــوم مفتـــرق الرفـــاق

تـــرى تعـــود لملتقاهـــا

قالـــت ســـيطرقك الخـــيال

مـــن العتيــق علـــى نواهـــا

فعـــدي بطيفـــك مقلـــةً

إن غبــتِ تطمــع فــي كراهــا

إنـــي شـــربت مـــن الهـــوى

حمـــراء صـــرْفٌ ساقياهـــا

يـــا ســـرحة بالقـــاع لـــم

يبلـــل بغيـــر دمـــي ثراهـــا

ممنوعــــــــة لا ظلهــــــــا

يـــدنو إلـــيَّ ولا جناهـــا

أكـــذا تـــنوب عليكـــمُ

نفـــسي ومـــا بلغـــت مناهـــا

جـــسد يقلّـــب للـــضنى

بيـــدي طُبَيِّبِـــة سواهـــا

أيـــن الوجـــوه أحبهـــا

وأود لـــو أنـــي فداهـــا

أمـــــسي لهـــــا متفقـــــدا

فـــــي العائـــــدين ولا أراهـــــا

واهـــــا ولـــــولا أن يلـــــوم

اللائمـــــون لقلـــــت آهـــــا

ونعود ونتحاور مع شاعرنا الكبير الشريف الرضي في سهرة ممتعة في شعره الذي هو لوحات من الفن وأسطورة من أساطير الإبداع فهو يحدثنا في هذه اللوحة الإبداعية التي فيها صور من الفن ومن البيان السحري، ونفتتح هذه اللوحة إن الظبيات وهي الفتيات عادت إلى القلوب كما كانت بعد إن خبئت نار الحب ولكنها أُشعلت من جديد فنار الحب لا تسكن ولا تنطفئ إنما هي تزداد وقوداً جاحماً وفورة بركانية، ويعقب شاعرنا على هذا المشهد إنه مشهد طربٍ على طرب يرين قلبك من جواها، فإن حب هذه الظبية علق بقلبه وإن لماها قاتلان له وهكذا الحب يفعل بمحبيه، ويؤطر شاعرنا الصورة فإن قلبه صار في يديها تلعب به كما تلعب بالكرة ولم يكفها هذه اللعبة اللعبة بالقلب، ولا أعرف تصور شاعرنا الكبير أن لعبتها بقلبه لا يعرف من رمى مهجته بذلك السهم القاتل أهي العيون؟ إن النظرات للعيون هي أمضى من السهام إنما هي كالأشعة الكهربائية التي تنفذ من وراء الجلود إلى القلوب فتصورها للعيون وليت الشريف

الرضي كان في القرن الواحد العشرين لرأى تصويره في لوحاته الفنية يوضحها ويشرحها الإنجاز العلمي الذي وصل له عقل الإنسان فهي من أغرب الغرائب في عصرنا عصر القرن الواحد والعشرين سبحان من خلق العقل وعلمه ما لم يعلم، ويفاجئنا الشريف بمفاجأة وبلفتة عبقرية عندما وقف الهواء به عندها وسرت في قلبه سريان الضوء سحر مقلتيها فأحس ببرد كبرد الطل تحت الغمام الشفاف الرقراق فهي كالشمس ولكن هذه الشمس يقبل جيدها ويجل فاها فهي موجات ضوئية متحركة تهز العواطف والقلوب وتسمر العيون، ولكن الشريف الرضي برغم هذه العواطف الجياشة يذود ذلك القلب الظامئ عن ورود ذلك المنبع المعيني برغم ظمأه وحبه لروائه، وبرغم ذلك لو استطاع قلبه لكان وشاحًا يلتف على خصرها ولكن ليس له من سبيل ولا يملك أمراً إلا الحسرات واللهفة، ويؤطر صورة هذه اللوحة في حرف ينتهي به يتمنى أن يزوره طيفها ولو خيال في رقاده وان كان الخيال لا يطفئ شيئاً من جاحم الحب، ويثب الشريف وثبة عبقرية تهز العواطف وتسمر العيون ما هذه الوثبة بعد حرف تمهيدي، ياسرحة، ما هي السرحة التي هي في القاع التي سقيتها ورويتها من دمائك حتى اخضوضرت وامتد ظلها وأتت أكلها ولكن هذه السرحة ممنوعة أن تظله أو أن يقضي لحظات تحت ذلك الظل السجساج أو تمتد يده إلى ذلك الجنى ما أضيع

أتعابك أهكذا العاشقون محرمون ويقتلون قتلا عنيفًا، ويختم الشريف لوحته خاتمة زخم كلها ألم وشوق ولهفة ما هو هذا الجسم، جسم قد أكله الضنى ويقلبه الغرام ولكن الذي يقلبه بيدٍ غير يدي محبوبته ولو كان تقلبه بيدي المحبوبة لأفاق وبلَّ من ألمه ويتساءل الشاعر في لهفة عارمة عن أحبابه الذين يتمنى أن يكون فداء لهم وهل بعد الفداء شيء أثمن منه أو يعادله، أين الوجوه التي يحبها أماتت أم غيبها الدهر أم ضرب عليها الفراق ستاراً فحجبها عنه، فهو يبحث عنها بين الوجوه العائدين فلا يرى من بينهم أحبابه أين ذهبوا ألا مخبرٌ ينبئه إلا الحسرات واللهفة، وليس له إلا نفثة من نفثات حب العاشقين الذين يسكبون قلوبهم في حرف آهٍ وواهٍ ولولا اللوام لقلت آها ما أعظم آها إنها كلمة صارخة مبطنة بالأسى والحزن والدموع تصور معي حرف آها ولولا أن يلوم اللائمون لقلت آها أنها صرخة منبعثة من فؤاد يموج بالحسرات والشوق واللهفة التي لا تطفئ بملامة المحبوب، ونحب أن نشير إلى بيت من هذه اللوحة الفنية وهو

جسد يقلّب للضنى

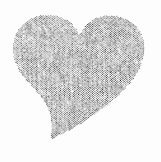
بيدي طُبَيِّبَةٍ سواها

وفي تصوري إن هذا البيت غير مستقيم وزناً والصحيح أن يقرء:

جسد يقلّب للضنى

بيدي طُبَيّبِة من سواها

ولعل هذا الخطاء وقع من شراح الديوان كما أشرنا سابقاً للأخطاء التي صححناها والله أعلم بالواقع.



وقال رضي الله عنه عند توجه الناس وذلك في ذي القعدة من سنة ٤٠٠هـ

خذوا نظرة مني

أقـول لركـب رائحـين لعلكـم

تحلّـون مـن بعـدي العقيـق اليمانيـا

خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمـى

ونجـد وكثبـان اللـوى والمطاليـا

ومـروا علـى أبيـات حـي برامـة

فقولـوا لـديغ يبتغـي اليـوم راقيـا

عـدمت دوائـي بـالعراق فربمـا

وجـدتم بنجـد لـي طبيبـا مداويـا

وقولوا لجيران على الخيف من منى

أراكـم مـن اسـتبدلتمُ بجواريـا

ومن حل ذاك الشِعب بعدي وراشقت

لواحظــه تلــك الظبــاء الجوازيــا

ومَــن وَرَدَ المــاء الــذي كنــت وارداً

به ورعى الروض الذي كنت راعيا

فوالهفتي كم لي على الخيف شهقة

تــنوب عليهــا قطعــة مــن فؤاديــا

صفا العيش من بعدي لحيٍّ على النقا

حلفت لهم لا أقرب الماء صافيا

فيــا جبــل الريــان إن تعــرَ منهــمُ

فإني سأكسوك الدموع الجواريا

ويا قرب ما أنكرتم العهد بيننا

نسيتم وما استودعتمُ الود ناسيا

أأنكــرتمُ تــسليمنا ليلــة النقــا

وموقفنــا نرمــي الجمــار لياليــا

عــشية جــاراني بعينيــه شــادين

حديث النوى حتى رمى بي المراميا

رمى مقلتي من بين سجفي عبيطه

فيـا راميـا لا مـسّك الـسؤ راميـا

فيـا ليتنـي لـم أعـلُ نـشزاً إلـيكم

حراماً ولم أهبط من الأرض واديـا

ولـم أدر مـا جمعٌ ومـا جمرتـا منـى

ولـم ألـق فـي اللاقـين حيـا يمانيـا

وياويح قلبي كيف زايدت في منى

بـذي البـان لا يـشرين الا غواليـا

ومن حذرٍ لا اسأل الركب عنكم

وأعـلاق وجـدي باقيـات كمـا هيـا

ومن يسأل الركبان عن كل غائب

فـلا بـد أن يلقـى بـشيراً وناعيـا

ومـا مغـزل ادمـاء تزجـي بروضـة

طلاً قاصرا عن غاية السرب وانيـا

لهـا بغمـات خلفـه تـزعج الحـشى

كجس العذارى يختبرن الملاهيـا

يحـــور اليهـــا بالبغـــام فتنثنـــي

كما التفت المطلوب يخشى الاعاديا

بـــأروع مـــن ظميـــاء قلبـــا ومهجـــة

غـــداة ســـمعنا للتفـــرق داعيـــا

تودعنـــا مـــا بـــين شـــكوى وعبـــرة

وقد اصبح الركب العراقيّ غاديـا

فلـم ار يوم النفرُ اكثر ضـاحكا

ولـم ار يـوم النفـر أكثـر باكيـا

ولنختـم حـديثنا عـن هـذه الـسمفونيات الفنيـة فـي تحـاورٍ مـع شاعرنا الكبير ونهتف به من وراء جذُر التـاريخ لقـد أثريت اللغـة العربيـة بهـذا الأسـلوب الـشعري الـذي نـذر مثلـه فـي الـشعر العربـي وأنا أبرهن على رؤياي بما أضعه مـن لوحـات فنيـة هـي حجازياتـك يـا أيهـا الـشاعر العظـيم فلنفتـتح سـهرتنا ونتحـاور فنـستمع إلـى شاعرنا الكبيـر يحـدثنا فـي أسـلوبه الـشعري البليـغ النـاطق بآيـات السحر والبيان.

يفتـتح الـشاعر الكبيـر لوحتـه الفنيـة برسـمة مـن رسـمات الغرام ولكنها ليست كرسمات الشعراء الـذين سـاروا علـى حياة التقليد إنما شاعرنا الكبير يفتتح هـذه اللوحـة برسـالة قلبيـة فيهـا

عواطف تنبض وقلوب تخفق وخلجات لعيون تقرؤها في أسرارٍ وحروف فيها شوق وآخر المطاف في هذه الرسالة يختمها بأنه لديغٌ مفتقرٌ إلى طبيب راقٍ ليعالج هذه الجروح وأي طبيب يستطيع أن يضمد هذه الجراح الفاغرة إلا أنامل بضة تمر على قلبه فلعلها تستيقظ هذه الجراح وتتماثل للبرء، ويصور الشريف أنه لم يجد له طبيب في العراق في مدينة السلام التي كانت عاصمة الدولة العباسية فيطلب من أخلائه البحث له عن طبيب في نجد أو في محلات أخرى وما هو الطبيب ما هو إلا حبيبه المفقود الذي توارى خلف دنيا الهجر والصدود، ويؤطر الصورة فيتساءل الشاعر في تسائل فيه لهفة فمن ذا الذي حل محله وجنى تلك الورود من تلك الروضة وكم له من شهقات وما هي الشهقات هي الفؤاد الذي ذابت قطع منه في تلك الشهقات، أهكذا الشوق ؟، ويثب الشريف وثبة العبقري فيخاطب جبل الريان وفي اعتقادي لا بقصد الجبل وإنما بقصد من يسكن الجبل ويحل به فإن رحلوا عنه وأصبح خالياً عارياً فسوف يكسوه بالدموع بدل عريه وهذا تعبير بليغ فيه نكتة بلاغية تسمى بالطباق بين أن يُعرى وبين أن يكسوه، فالشريف الرضي يذكِّر أخلاَّئه وأحبابه بتلك العهود كيف لم يرعووا لها ولم يفوا بميثاق الحب ونسوا حتى السلام واللقاء المتكرر في صورة تفيض شوق وتنتهي بألم ممض وحياة حزينة مبطنة بعيش منغص لا طعم فيه ولا لذة، ويصور الشاعر

الكبير وقت اللقاء وتكلم العيون ومخاطبة القلوب وما لقي من سهام رمي بها من تلك الظباء ولكنه يدعو برغم ما عمله فيه حبيبه فيكافئه بالدعاء له فلا رُمي راميه بسوء ولو كان يريد قتله وهو يريد حبائه وحياته، وكان الفراق ألقى على قلبه ليلاً من الظلام أنساه جمع ومنى وكل شئ فهو لا يملك غير النظرات الحائرة المسمرة في الألوف البشرية التي تتطاير ألوفاً منها إلى الأمام وألوفاً منها إلى الوراء وهو مقسم النظرات التي تقرأ فيها حروفا خلفها ألف سر وسر لا يقرأه إلا أولئك العاشقون الذين هاموا في ذلك الجو وتاهوا يستعذبون العذاب والتعذيب، ويثب شاعرنا الكبير فيصمت ففي هذا الصمت نطقٌ أبلغ من النطق فلا يسائل الركبان عن أحبابه لأن السائل لابد له من مقالة يفاجأ ببشرى أو بمقالة نعي وبكى فما يدري أيفاجأ بفتحٍ فيه بشارة أم بخاتمة حياة فيها نعي وبكاء ما أفجع هذا الحرف وما أفرحه وهكذا الشعراء الذين يحلقون في أجواء روحية، ويعقب الشريف بصورة وصفية مأساوية باكية فهذه الفتاة التي تشبه الظبياء لها نغمات حزينة تثير الحشى وتزعجه كجس الفتاة الملاهي أو بالأحرى هي لمسات العذارى للقلوب يفتحن تلك القلوب بأناملهن العاجية في موجات من الإشعاعات الكهربائية، فابنها يحور إليها في نغمات كأنه مطلوب إلى عدوه فهو في حيرة وخوف وارتباك من هذا الطلب، وليس هذا المشهد بأفجع من ظمياء عندما يصاب

قلبها ومهجتها بصوت صوت الفراق فهذا أفجع وأعظم موقف على الأحباب والشاعر صور مشاهد مفجعة ولكنها تهون عند مشهد الفراق وهو أفجع الفجائع، وكان الوداع فيه شكايات وأسرار طفحت على خطوط الوجوه عند الوداع وفاضت قلوب حراء ومهج ودموع تسيل فيها تلك العواطف المشبوبة بجحيم الفراق، ويصور الشريف في خاتمه زخمٌ وهو مشهد الفراق فهو لم يرَ ذلك اليوم أكثر ضاحكا ولم يُرَ ذلك اليوم أكثر باكيا، هذا يوم الفراق وهذه صورة متحركة تتحرك فيها القلوب لا الأجساد ولا أدوات المواصلات كالنوقِ والخيول إنما هي القلوب التي تتحرك وتسير ولعل الضحك الذي أشار له الشاعر هو ضحك البكاء لا الضحك الذي ينبع من فرح اللقاء، ونختم هذا الحديث عن هذه اللوحات الفنية والصور الإبداعية عن هذه القصائد المسماة بالحجازيات في هذا الحرف الذي كان تصويراً ودراسة وتحليلاً لهذا الفن الذي هو رسمات رسمت من القلوب الخافقة وخلجات الجفون وبوح العيون حسب رؤيتنا التي وصلنا إليها في هذه الدراسة ولعلنا لم نعطِ هذا الفن حقه ولكن تأتي العزائم على قدر الشخص.

باب النسيب الغزل

ان هـذا الفـصل هـو فـصلٌ مـن الفنـون وأسـلوب مـن الأسـاليب الشعرية وهو كذلك من الأساليب التصورية التي لا أظن إنساناً ذا إحساسٍ وإرهافٍ إلاّ ويحس بالجمال الجمال البشري والجمال الطبيعي فهو يتمتع به والفارق بين الشاعر وغير الشاعر كل منهما يحس بالمتعة واللذةِ ويشتركان فيها إلا أن الشاعر يصور ما يحسه ويتمتع به في أنغامٍ ترقص القلوب أما غير الشاعر يحس ولكنه حس لايستطيع أن ينفذ إلى ما وراء أسرار الجمال فيصوره في حرف نغمٍ وهذا الفارق بين الشاعر وغير الشاعر لم يصور هذا الأسلوب في حرفه ويناجي حبيبته سواء كانت واقعية مرتبطة بحياته الواقعية كزوجته أو ما يمتد له من حبٍ لا يشوبه حبٌ غراميٌ إنما هو حب عاطفي أو حبيب يخلقه الخيال وتصوره المخيلة الشاعرية وترسمه في رسمة لا تمت بذلك الشاعر بعواطف تربطه بها أو تجمعه معها إنما هي صورة خيالية جاءت لحب الفن والشعر ويرسمها في قصائد يطلع بها الشاعر على الدنيا ليقال أنه شاعر أو صورة خيالية نحى فيها الشاعر على أسلوب صور تقليدية للشعراء الذين سبقوه سواء ساروا أولئك الشعراء على أسلوب الشعر التقليدي أو كان بعضهم محباً فتحت

أنامل الحب قلبه وأثارت تلك الجدوى عواطفه وهو لهفان متعطش إلى قطرة من لمى الحبيب ويناجي آلهة الحب ويكتب من ذلك الأفق الإلهامي شعراً ينبع من العاطفة الغرامية فعندما تقرؤه تشعر بهزة ونشوة لا تتصورها ولا تعرف تلك الهزة من أي ناحية من النواحي النفسية سرت إلى ذلك القلب إنما هي إشعاعات ضوئية وألحان شوقية سرت إليك كما يسري النسيم بالروضة الغناء وتداعب ثغر النهر فهي سرٌ من الأسرار حتى شاعرها لا يستطيع تصويرها ورسم حقيقتها إنما هي هزة روحية يتمتع بها شاعرها ومن كان له حاسة فنية وذوق شاعري يميز الجوهر من الفحم فهو يشعر بها ويحس تلك اللذة كما يحسها شاعرها وهذا الفن في فطرة الإنسان منذُ وجد على هذا الكوكب الذي يدور تحت أضواء الشمس فالحب فطرة طبعية في الإنسان ولولا الحب لعادت الحياة حياة جاحمة ودنيا صاخبة لا طعم فيها ولا لذة فالحب يعمر الحياة وبالحب تأتلف القلوب وبالحب ترتبط الأسر ويجتمع شملها وتسعد البشرية وتعمر هذه الدنيا ويزدهر الكون بالحب ولولا الحب لانقرضت الحياة ولم نأتلف ونجتمع بدون حب، وحتى نمى هذا الحب بين الحيوان فضلا عن الإنسان فالحياة الحب والحب الحياة والذي أريد أن أشير إليه هنا بعد تعريف الحب وإنه كيان الحياة و ينقسم إلى عدة أقسام، فالحب خلق مع فترة الإنسان فهو يتطور وينمو معه كما ينمو في هذه الحياة منذ نشأته حتى يصل

إلى لحده فالقسم الأول حب الخالق المنعم الذي أوجده في هذه الحياة ولابد أن يكون هذا الحب حب روحاني خالص لموجده والمنعم عليه حتى يبلغ أقصى الدرجات فيحبه على نفسه ويفنى في طاعته ويذوب في مناجاته حتي يصل إلى رضاه وهذا يعود نماؤه وخيره وجزاؤه و منفعته إلى العبد المطيع إلى مولاه، والحب الثاني حب النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار الذين نص عليهم كتاب الله وقال مخاطباً نبي الرحمة صلى الله عليه وآله (قل لا أسئلكم عليه أجراً ألا المودةَ في القربى) وهذا الحب يعود أجره ومنفعته للعبد المحب وقد قال الله تعالى (ما سئلتكم عليه من أجرٍ فهو لكم) وهذا تفضلٌ ولطفٌ من سيب خالق السماوات والأرض من غني مطلق يفيض على عبدٍ فقيرٍ مطلق، والقسم الثالث حب الأب والأم والأخوان والأرحام والزوجة والقسم الرابع هو حب الأصدقاء وحب إخوانه في الدين فهم أخوة كما أمر بذلك كتاب الله ونص عليه، ولما كان الحب في فطرة الإنسان منذ وجد فليس الحب جديد بل كان يعبر عنه بإشارة ولغة يفهمها بنو الإنسان في كل زمان بلغتهم ولو بخلجات القلوب وإشارات العيون وعندما تطور الإنسان وطور أداة الحرف حتى صار يؤلف منه الحروف الهجائية وطوع الكلمات وأحدث أساليب وضمنها أفكاره وخلجاته النفسية حتي طور الكلمة فتحولت إلي عواطف مشبوبة وقلوب خافقة عامرة بالحب فصيغة من هذه

المشاعر الشعر الذي هوا مرأةٌ تصور كل ما يمر عليها من طيوف خلجات حبٍ فتمازجت هذه الخلجات في لغة ثقافية إلى ذلك الإنسان الذي وعاها فمزجها في فكره وقلبه حتي نضج وارتفع إلى حياة معنوية بعيدة الأفق وصار إلى لغة روحية يستلهمها من سماء عبقر وهذا هو الشاعر الذي يستوحي الشعر من تلك السماء الإلهامية وما يكتبه هو الشعر فيضاً من رب السماء عليه فتطور الفكر الشعري في أساليب وقسمها إلى فنون حسب حاجته فإذا تألم صور تألمه وإذا ابتسم رسم بسمته وفرحه وإذا حب صور حبه، والأداة التعبيرية لهذه الخلجات والأحاسيس هو الحرف حيث هو المرآة التي تنعكس عليها تلك الظلال النفسية فتترجمها تلك الحروف في كلمات تعبيرية فصور تلك الخلجات في ذلك الحرف في أساليب من الفن الشعري الغزلي الذي لم يكن حديثا بل منذ وجد هذا الإنسان على هذا الكوكب المسمى بالأرض فكلٌّ يعبر عن عواطفه وحاجته لأخيه غير أننا لا نعرف هذه التعبيرات العاطفية كيف تترجم وبأى لغة ترسم وبأى خلجة تفهم انما نعتقد أنَّ البشر في كل زمان له لغة يخاطب بها أخيه ويتفاهم كما تتفاهم القلوب والعيون في حرف خطابي حتى تطور الإنسان ونفض العصر الحجري الذي كان هو ليل يغطي سماء ذلك الإنسان ولكن الإنسان بفضل من الله ولطفٍ يفيضه على هذه البشرية نعمه ومنّه وهو العقل الذي أودعه خالقه

في الإنسان الناطق فبهذا العقل طور الحياة وطور الحرف فعلمه خالقه ما لم يعلم فتجدد الإنسان في عقله كتجدد الشمس في الحياة وتطور العقل مع حركة الليل والنهار وتطورت معه لغته حتى انفسحت لها الأجواء وصار حرفها أداة طيعة مرنة يستعملها العقل في نطقه وفي إشاراته وقضاء حاجاته وانفتحت آفاقها في آفاق البشر فصاغ من حرفها لغة واسعة الآفاق حتى أصبحت تُدَرس وتدرس لأنها غلاف يحمل جوهر العلوم ومعانيه علي إختلاف اللغات والألسنة وكل لسان في الحقيقة إنسان فهو يأخذ من لغته ما يستطيع من طاقات علمية وثقافة من حرف تلك اللغه لذلك اللسان فاقتبست من أجوائها العباقرة الملهمون وهم المفكرون الذين يصنعون التاريخ ويجيءُ التاريخ قطعة من حياتهم لا هم قطعة منه وصار من المفكرين علماء ومخترعين وشعراء وأدباء ونريد هنا أن نتحدث عن شريحة من المفكرين وهم الشعراء الملهمون فلغة الحب لغة في فطرة الإنسان منذ ولد وكما تحدثنا أنها تطورت وكانت في تعبيرها الأدائي يخاطب بها العامي والجاهل بلغة شعبية في حرفها تعبيرٌ عن حبه المكنون وما يحتاج له الإنسان،ولولا الحرف لضعنا وضاع تاريخنا وانقرضت الحياة ولم يصل لنا أخبار ولا أحاديث عن القرون الماضية ولكن المفكرين يأخذون من اللغة جوهرها وسرها الذي يميز حرفها عن حرف الجاهل أو العامي فلا تكاد أن تصل

إلى ذلك السر الذي يعبر عنه المفكر المثقف في أساليب نثرية أو شعرية وما تحمله تلك الحروف من أسرار بلاغية ونكت بيانية ونستشهد على رؤيتنا بحرف المفكر الكبير بولدير العرب الذي جاء بحرف بز فيه شعراء عصره وظل هذا الحرف يدور مع الشمس، لِشاعرنا الكبير الشريف الرضي ونورد له هنا لوحات فنية فيها من البيان والسحر ومن العواطف المشبوبة فاقرأ معي هذه الصورة المتحركة،

وقال في الغزل :

مشغوف ومشغوفة

لكِ الله من مطلولة القلب بالهوى

قتيلة شوق والحبيب غريب

أقل سلامي أن رأيتك خيفة

وأعرض كيما لا يقال مريب

نأخذ من هذه القصيدة الغزلية مقطعاً صغيراً وهما بيتان أغرب فيهما الشريف وأبدع في صورة سحرية وتعبير يهز القلوب ويثير الحب الدفين فهو يخاطب حبيبته ويطلب من خالقه مساعدتها فإنها مطلولة بالحب ولاحظ هذه الصورة المطلولة هنا بالحب إنه تعبير لعله لم يسبقه أحد وهي قتيلة الشوق وحبيبها بعيد عنها، وإنه يتحاشى أن يبلغها رسائله أو سلامه خشية الريبة.

وقال :

الوعد الكذاب

يا ماطلي بالدَّيْن وهو محبب

من لي بدائم وعدك الكذاب

وتأمل معي هذه الصورة المتحركة، إنَّ الشاعر يستعذب المِطال بالمواعيد حتى تصبح من مطِالها ديون وهذا الدين محبب فهل أنت معي أيها القارئ تتصور كلما ماطل المحبوب حبيبه في وعده بالوفاء لزيارته فيماطله حتى تتراكم عليه الديون لكثرة مواعيده وخُلفها وهذا الخُلف محبب عند المحبوب أو العاشق ويتمنى العاشق أن يدوم هذا المطال وهذا الكذب ليتمتع بانتظار الموعد على ألم الترقب وألم الشوق لساعة اللقاء فيتمتع بلذة شائقة وإن أعقبها عدم وفاء.

وقال من الغزل

تلفت القلب

ولقد مررت على ديارهمُ

وطـلـولـهـا بيد البلى نهـب

فوقفت حتى ضج من لغب

نضوي ولج بعذلي الركـب

وتلفتت عيني ومذ خفيت

عني الطـلـول تلفت القـلـب

سبق لي أن تحدثت عن هذه القطعة الفنيـة بإسهابٍ فـي مقـال مقصور على هذه اللوحـة نـشرته فـي كـتـاب أضـواء مـن النقـد فـي الأدب العربي ولا مشاحة لو نقلته هنا فالأديب او المفكـر يقتـرض من اليمين إلى الشمال ومـن الـشمال إلـى اليمـين وننقلهـا حرفيـاً إن في هذه السمفونية صورة متحركـة تجسد دنيا الأحبـاب فـي قـصة طويلـة.. ذات فـصول، اختـصرها الـشاعر فـي ثلاثـة أبيـات كـمـا تختصر رسـائل الحب، بإشارات القلوب والعيون.

فالشاعر عندما مرّ على ديار أحبابه تذكر أيامهم الممتعة الحلوة، وكيف كان النعيم يسيل في هذه القصور التي تموج بألوان الحياة وصورها المتباينة !!

فماذا تذكر الشاعر في هذه الوقفة المأساوية الحزينة ؟ تذكر أيام أحبابه، وفي شوق ولهفة، أعادت له هذه الطلول حياتهم الماضية فبعثت فيه الحسرات فوثب الخيال فأغرب الوصف حتى جسد ذلك الطلل حياة متحركة في خيال بديع إنها رسمة تصف أطلالا أصبحت نهباً في أيدي البِلاء، وما أعظم هذا التعبير، في صورته الوثابة إنها وثبة من وثبات العبقرية وإبداع في التصوير وليست من الشعر التقليدي من الذين يتباكون على الأطلال إنما هي تجسيد لحياة أمة بادت.. وبقي لها أثر كعبرة لمن أعتبر.

ويستمر الشاعر الكبير ويتسمر أمام هذه الطلول ويتيه في عالم الذكريات البعيدة ويغيب في أعماق حياة الأحباب حينما نقله جناح الذكرى إليها حتى يبلغ به التسمر اللاشعور فيضج جواده من لغوب تلك الوقفة المشاهدة برغم أنه القائد الزعيم لذلك الركب فينفرد عنهم ويغيب في ذلك المنظر المأساوي الحزين.

ويمضي الشاعر الكبير في قطعته تحت ضغط العواطف الجامحة فيصور منظر أحبابه بصورة ينقلها في لوحة زيتية تُرسم

في حدقة عينه وفجأة حركية تُنقل هذه الصورة النظرية عندما تغيب هذه الطلول عن عينه إلى لفتة وما هذه اللفتة ؟ هي لفتة القلب الذي لا تغيب عنه الصور إلاّ بانتهائه من الحياة إنه زخم ما بعده زخم وإبداع ما بعده إبداع :-

وتلفتت عيني ومذ خفيت

عني الطلول تلفت القلب

الله أكبر على ما في هذه الصورة السينمائية المتحركة كأن الشريف عاش معنا في هذا العصر وشهد مناظر الأشرطة السينمائية والتلفاز إن حرفه أصدق تعبير وأبلغ من هذه المناظر.

والغرابة فيها بينما هو يمتع عينه في ذلك المنظر الرهيب لباهت حتى إذا خفيت نقلها كنقلة الضوء الإشعاعي إلى قلبه إن لفتات القلوب ولفتات العيون لفتات سحرية السحر الحلال فسبحان الذي خلقها فالعين ترسم المنظر فإذا غاب عنها خزن في لقلب صفحات لا تغيب عنه كصور الربيع عندما تنطوي من هذه لحياة نجدها صورة حسية وصفية في العقول إننا نعيشها حية في قصائد الشعراء التي ترسم الربيع مناظر خلابة متحركة والفارق بين رسمة عمر أبي ريشة ورسمة الشريف الرضي فأبو ريشة رسمت شاعريته وصفاً لطلل روماني شاهده فصوره دون أن ترتبط حياته بحياة سكان هذا الطلل ولا بقومه ولا تمت جذوره

بجذورهم فهو غريب عن هذه الارتباطات والعوامل الزمنية ولكنه صور ذلك الطلل.

وشاعرنا الشريف الرضي لم يكن وصافاً عاطفياً فحسب إنما كان قطعة من حياة سكان أولئك القوم الذين تحولت قصورهم إلى طلول تثير في نفسه ذكريات مرة لكونها تشدُّ حياته بحياتهم ويرتبط بأولئك القوم لغة ودما وامتداد زمنيا.

كل هذه الروابط جعلت الشريف أن يكون في عاطفته أصدق من أبي ريشة لهذه العوامل، وللشاعرية التي لا يحلق في سمائها أبو ريشة فصور إبداعاً بلغ فيها منتهى الزخم في قطعة لا تتجاوز ثلاثة أبيات، وقد انطوت في أحرفها حياة أجيال صورتهم هذه الرسمة يعيشون فيها ويتجددون مع إطلالة الفجر كلما نظرت هذه الرسمة وليته أطال هذا النغم على مسامعنا الذي جمع فيه الفن في أعلى صورة ولعل الشريف الرضي يخاطبنا بروحه الشفافة من حجرات الغيب ليس في الإمكان أبدع مما كان.
أنتهى ما نقل من كتاب أضواء من النقد في الأدب العربي مطبعة مؤسسة البلاغ بيروت، من صفحة ٧٨ إلى صفحة ٨٠.

وقال من الغزل :

التعلل بالدموع

إن لم تكن كبدي غداة وداعكم

ذابت فاعلم أنها ستذوب

ويصور شاعرنا الكبير كبد المحب حين يودع محبوبه كيف تذوب كبده حين الوداع وأن لم تذب ساعة غروب الحبيب فسوف تذوب على وهج حواشي الهجران.

وقال في الغزل

ألحاظ القلوب

وبي شوق إليك أعل قلبي

وما لي غير قربك من طبيب

اغار عليك من خلوات غيري

كما غار المحب على الحبيب

وإن بَعُدَ اللقاء على اشتياقي

ترامقنا بالحاظ القلوب

تصور معي كيف يعبر شاعرنا الكبير عن ثورة الحب فإن هذا الشوق قد أعل قلبه فأصبح ذا علة لا طبيب لها إلا قرب الحبيب فمسحة من أنامله تشفي تلك العلة، فهو ذو غيرة برغمٍ ما أعل قلبه فالغيرة على حبيبه من أن يظفر به غيره وهكذا يغلوا الشوق بالمحب إلى حبيبه إلى ذروة الهوس والهلوسة، وهنا الشريف كأنه يعيش في القرن الواحد العشرين عندما تطورت

الحياة وأصبحت الحياة في شاشة حاسوب فهو يصور البعد بحبيبه والهجران يستطيع أن يختصر هذه المسافة فينظره بلحظات القلب فيترامقنَ بالحاظ القلوب وهل رؤية أشف وأعظم من رؤية القلب؟ فالقلب هو الذي طور الحياة وقلبها رأساً على عقب ونريد هنا بالقلب العقل وما أدراك ما العقل ويلاحظ القارئ أن الشريف جعل للقلوب عيون تترامق بها فأعطى القلب وظيفته وأضاف له وظيفة العيون الخلجات والنظرات ووخزات القلوب.

وقال أيضاً :-

البين المشت

أحن إلى لقائك كل يــوم

وأسال عن إيابك كل وقـت

واذكـر مامضى فيغيض صبري

وتنفر عبرتي ويبوح صمتي

ولي قلب اذا ذكـر التلاقــي

تظلم من يـد البين المشــت

ونعود لسهرتنا الشعرية وقبل أن ندخل إلى جو القصيدة نريد أن نلاحظ ملاحظة معنوية على البيت الثاني فقد رُسم في الـديوان وأذكـر مـا مـضى فيغيض صبري والـصحيح فيهيض صبري مـن الإنهيـار وهـذا أبلـغ مـن الغـضب للـصبر فـإن الـصبر لا يمـر عليـه الغـيظ والأصـح قـد ينهـار الـصابر ويـضعف وهـذا الخطـأ إمـا مـن الطبـع أو مـن شـراح الـديوان فنـدخل فـي أجـواء هـذه الـسمفونية ونُجنّح في جوى الحب والتشبيب لنسمع الشريف وهـو يتحـدث مـن

وراء التاريخ وكيف يصور هذه الحياة الغزلية الغرامية، فإنه يحن إلى حبيبه حنين العشاق إلى أحبائهم وهذا الحنين يتحرك ولا يسكن ولا يفتر فحركته تدور مع حركة الليل والنهار في كل لحظة وثانية مع تحرك الجديدين ويتساءل عن عودة حبيبه في كل وقت بلهفة مشبوبة بانفاسٍ حارة وتطلع شوق يسمره على السهاد، فيذكر أيامه الماضية فتملأ صدره تلك الأيام حسرة ولهفة وانهيار ويسكب عبرته ويخرق جدار الصمت ذلك الصوت الذي يدوب فيه القلب قطعاً من الحنين والشوق، ويؤطر الصورة فقلبه حينما يتذكر ساعة اللقاء بحبيبه وما فيها من معانٍ لا يعرفها ولا يصل لجوها إلا من شرب من تلك الكؤوس الشفافة أولئك الذين عرفوا أسرارها وشربوا من أضوائها وأرتشفوا من معانيها السحرية وينعى على يد الفراق التي بددت ذلك الشمل الذي كان مجتمعاً يوم اللقاء وما ألذ اللقاء إنها ساعة تسبقها لذة الانتظار والترقب الملهوف، فهو انتظار لقاء علي أمل فهذا التصوير الحسي الملهوف قد صوره الشاعر العملاق المتنبي في مصداق بيتٍ.

وما صبابة مشتاق علي أملٍ

من اللقاء كمشتاقٍ بلا أمل

وقال أيضا في الغزل قدس الله روحه.

أبكي ويبتسم

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفى

ألـم الـجوى مـن قلبي المصدوعِ

أأســأتَ بالمـــشتاق حــين مـلــكته

وجــزيت فــرط نزاعــه بــنزوعِ

هــيهات لا تــتكلّفنَّ لــي الــهوى

فضح التطبع شيمة المطبوعِ

كم قد نصبتُ لك الحبائل طامعاً

فــنجوت بعــد تعــرض لــوقوعِ

وتركتني ظمآن اشرب غلتي

أسـفاً علـى ذاك اللمـى الممنـــوع

قلبـي وطرفـي منـك هــذا فــي حمـى

قــيظ وهــذا فــي ريــاض ربيـــع

كـــم ليلـــة جرعتـــه فـــي طولهـــا

غـــصص المـــلام ومـــؤلم التقريـــع

ابكـــي ويبـــسم والـــدجى مـــا بيننـــا

حتـــى أضـــاء بثغـــره ودموعـــي

تفلـــي اناملـــه التـــراب تعلـــلاً

وأنـــاملي فـــي ســـنّي المقـــروع

قمـــــر إذا اســـــتخجلته بعتابـــــه

لـــبس الغـــروب ولـــم يعـــد لطلـــوع

لـــو حيـــث يـــستمع الـــسرار وقفتمـــا

لعجبتمـــا مـــن عـــزه وخـــضوعي

ابغـــى هـــواه بـــشافع مـــن غيـــره

شـــر الهـــوى مـــا نلتـــه بـــشفيع

مـــا كـــان إلاَّ قبلـــة التـــسليم أردفهـــا

الفـــراق بـــضمة التوديـــــع

كمـــدي قـــديم فـــي هـــواك وإنمـــا

تـــاريخ وصـــلك كـــان مـــذ أســـبوع

اهون عليك إذا امتلات من الكرى

إنـــي ابيـــت بليلـــة الملـــسـوع

قــد كنــت اجزيــك الــصدود بمثلـــه

لــو أن قلبــك كــان بــين ضــلوعي

وليأذن شاعرنا الكبير الشريف الرضي أن نتحدث معه في سهرتنا هذه حينما يخاطب حبيبه في صورة فيها أسلوب شوق وألم وحسرة إن صاحب القلب الصحيح يتشفى ولا ينتهي هذا التشفي، ومتى ينتهي فهو يتشفى من قلبٍ مشقق بالحب ومحروم بالهجران وهل بعد تشقق القلب هل يكون فيه بقيا لألم أو جوىً إنها لوثبة من وثبات الحب، ويستفهم شاعرنا الكبير استفهاما فيه لهفة وتقرير وعتاب مرٌّ أهكذا تسوء أيها الحبيب بحبيبك عندما ملكته وتجازيه بنزوعٍ نزوع الفراق، نزوع الألم، نزوع الحسرة، يشير شاعرنا الكبير قد تمر على الحبيب لحظات أو أي شخص يتودد لشخص آخر أو يتملق له في حاجة فيتكلف الحب خلاف الطبيعة ولكن شاعرنا الكبير يقبض على السر ويشخص الداء وكل تكلفٍ خلاف الطبع سيفضح التطبع شيمة المطبوع يالها من روعة ويالها من صورة غرامية متحركة كشريط سينمائي تشاهده النظار تتسمر فيه العيون، واصبح مثلاً سياراً تقرأ في حروفه حياة البشرية في كل صباح ومساء، ويدلل

الشريف في وثبته الغرامية إنَّ حب حبيبه له كان حب متكلفاً فكم من إغراء وتحبب وأساليب فيها خضوع وشوق ولكنه لا تغريه هذه الأساليب الغرامية فيفلت منها كما يفلت الطير من شبكة الصائد، ويؤطر شاعرنا الصورة فيصور تلك الليالي وخضوع العاشق لمعشوقه وتدلهه بين يديه والحبيب يزداد في هجرانه وقسوته على عاشقه ويذل أمامه ومعشوقه يتعزز، فهذه صورة من الصور التي يعيشها العاشق في ظمأٍ لاهث إلى ذلك اللمى الممنوع، وهذا الظمأ الصارخ شطر قلبه وطرفه شطرين فالقلب في وهج قيظ وطرفه في ربيع رياض عندما ينظر إلى وجه حبيبه وهذا من التقسيم البلاغي ومن النكت البيانية، ويوغل الشريف حتى يصف ليالي الهجر التي يتجرع فيها الألم من كؤوس الغصص مع طول تلك الليالي ولعلها ليالي برج الجوزاءالتي يحولها الهجران إلى ليالي برج القوس من غصص الألم وتقريع الملام، والدجى يسدل ستوره بين العاشق والمعشوق ولكن تلك الظلمة يبددها ابتسام ثغر الحبيب ودموع المحب، وهذه الصورة التمثيلية كأننا نشاهدها على خشبة المسرح، وإن أنامل الحبيب تفلي التراب تعللاً والمحب أنامله في سِنِّه المقروع، لماذا مقروع لأنه لم يظفر بأمنيته وهل جنى غير حبه العاثر وإيابه بالحرمان، ويغرب في هذه الصورة إنه قمر عندما يخجله بالعتاب لبس الغروب ولم يعد لطلوع، الله أكبر على هذا التمثيل

إن هذا القمر لا يعود للطلوع بخلاف قمر السماء أذا لبس السرار يعود للطلوع وهذا القمر لا يعود لطلوع ثانية، فتصور معي كلمة لبس الغروب، أنه تعبير غريب عجيب كأن الشريف يعيش معنا في القرن الواحد والعشرين ويتكلم بلغته ويحدثنا بأسراره، ويصور الشريف أسلوب للعاشقين حيث لو هناك رقباء يستمعون للغة الحب بين الحبيب والمحبوب ويصل لسر تلك اللغة الغرامية لتعجبوا من عزة المعشوق وذلة العاشق، ويوغل الشريف في الصورة فإن الحبيب متى احتاج إلى شفيعٍ فهذا حبُ شرٍ، متى احتاج المحبوب إلى شفيع، فألذُّ الهوى عند العاشق إذا كان في ذلة توسلية لمعشوقه الحبيب والمعشوق في تمنعٍ ودلال حين وصله أتيانه بدون شفيع فشفيعه هو التمنع والدَلّ، ويصف ذلك الوقت وقت اللقاء الذي يتناجى فيه الحبيبان ويغيبان في قلب واحد، ولكن هذه اللقيا ما كانت إلا قبلة التسليم ثم ويعقبها ضمة فراق التوديع، ويرسل المحب أسلوبه العتابي إن حبه وكمده طويلٌ طويل لأن تاريخ لقياه بحبيبه منذ أسبوع فالمعشوق يلبس اليل في راحة وهدوء وعيناه تمتلآن بالكرى فلا تشعر بوهج ولا قلق ولكن معشوقه يقطع الليل على ليل جاحم من الألم ومسهد كالنجوم ويعيش الليل كليل الملسوع يشرب الغصص غصةٌ بعد غصة ولا ترى عينه السهاد ويعصر قلبه وهج الألم ويبيت في ليله الطويل وقلبه ملسوع بألم الهجران، ويستمر الشاعر في عتابه

المرير لو كان قلبه قلب المعشوق لجزاه المثل بالمثل أي صدٌ بصدود، ولكن القلبين يختلفان في أسلوبهما التعاملي وصورتهما المتحركة اختلافاً كبيراً فالعاشق ينام على وهج من الحرقة وحسرة من الصدود والمعشوق لا يحس بما يحس به عاشقه وهكذا أسرار العشق والحب الذي ليس له حدود ولا مكان ولا زمان فهو لا يرتبط إلا بتلك النظرات وذلك الشوق أللاهث الجاحم الساعر للقاء.

ونريد أن نصحح بيت من هذه القطعة وهو البيت الحادي عشر حيث جاء في هذه الصورة:

لو حيث يستمع السرار وقفتما

لعجبتما من عزه وخصوعي

الصحيح لعجبتما من عزه وخشوعي لأن التعزز يقابله الذل و الخشوع هو نوع من الإذلال وهذا إما خطأ مطبعي أو من شراح الديوان.

وقال أيضا في الغزل:

عفة لا تعفف

وقفت بربع العامرية وقفةً

فعز اشتياقي والطلول خواضعُ

وكم ليلة بتنا على غير ريبة

علينا عيون للنهى ومسامعُ

نُفضِ حديثاً عن ختام مودة

معاقلها أحشاؤنا والأضالع

يكاد غراب الليل عند حديثنا

يطير ارتياحا وهو في الوكر واقع

خلونا فكانت عفة لا تعفف

وقد رفعت في الحي عنا الموانع

سلوا مضجعي عني وعنها فإننا

رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

ونعود الليلة إلى نادينا الأدبي أو بالأحرى للأفق الفكري لنعيش مع الشريف في صورة شعرية التي تتجدد مع تطور العصر في حرفٍ جديد وتعبير يخاطب في أكثره أبناء العصر أبناء القرن الواحد والعشرين فلنصغي بقلوبنا لابآذاننا لنستمع إلى هذا اللحن الموسيقي، فالشاعر الكبير يصف صورة غرامية صورها في وقفات غرامية على منازل أحبابه وكل شئ هدأ ونام حتى الطلول الجامدة خضعت، ويصور الشريف العفة التي يتمتع بها وقد قلنا من ذي قبل إن غزل الشريف هو صورة من أفق الخيال لا من حياته الواقعية وإن بلغ في غزَلهِ قمة البلاغة والتصوير وها هو يؤيدنا على تلك الرؤية، ويخبرنا كم ليلة بات مع حبيبته بدون ريبة برغم إختفاء مراقبة العيون والمسامع، إنما هو الحديث الذي هو ألذ عند العشاق من هذه الحياة أن يفضي الحبيب إلى حبيبه عما في قلبه وما تكنه تلك الضلوع والمُهج، وهنا رؤية يصورها الشريف صورة متحركة حيث صور الليل لسواده بطير الغراب نام في وكره وعندما تحدث الحبيبان هز قلب الليل فكاد هذا الغراب أن يقع من وكره لعذوبة ذلك الحديث وسحره، ويصور خلوه بحبيبته وقد ارتفع الستار وزال المحظور وهنا تظهر العفة من التعفف فشاعرنا الكبير يثبت في هذه السمفونية بعد أن زالت الموانع وظفر فيها بحبيبته فهو في عفةٍ عنها لا تعفف برغم انحطام جدار الخوف وزوال جميع الموانع عنهما ولكن العفة

والخوف من الله هي الحصن الحصين وهي المانع الضخم، وشاعرنا الكبير يصور هذه العفة ويطلب المساءلة من المضاجع فانها شاهدٌ على عفتهما وهما راضيان بما تخبرهم تلك المضاجع فعندها الخبر اليقين.

وقال أيضاً

كبر الملول ورقة المملول

ومقبّل كفي وددت بأنه

اؤمى إلى شفتي بالتقبيل

جاذبته فضل العتاب وبيننا

كِبر الملول ورقة المملول

ولحظت عقد نطاقه فكأنما

عقد الجمال بقرطق المحلول

جذلان ينفض من فروج قميصه

أعطاف غصن البانة المطلول

من لي به والدار غير بعيدة

عن داره والمال غير قليل

وما زلنا في سهرتنا الممتعة مع شاعرنا الكبير نتمتع بهذه اللوحات البديعة ونستلذ بهذه الألحان السمفونية فاسمعه يتحدث في وصفٍ غزلي يغرب فيه الشاعر إلى أبعد الحدود، إن حبيبه عندما هوى على كفه يقبلها فودَّ ان يقبل شفتيه بدل كفيه وفي تقبيل الشفة سر من أسرار الحب، فلاحظ أن الشاعر الفنان الذواقة لم تفته هذه اللفتة العبقرية والسر الكامن في الشفاه فأخذ يتجاذب معه فضل العتاب والعتاب فيه خضوع من العاشق وتهديد من المعشوق فما الذ هذا التجاذب في العتاب ويحلي هذا العتاب بينهم كبر الملوم او هنا كلمة كبر الملول خلقت جواً شعرياً وجرساً عاطفياً يلج إلى القلوب قبل أن يلج إلى الآذان، ولكن تغطي المملول ذلة ما بعده من ذلة، ذلة الاستعطاف أستطعاف الحبيب لمحبوبه وفي الديوان بدل ذلة رقة المملول وفي رأي إن رقة هنا خطأ وقع من الطبع أو من شارح الديوان الله أعلم وكلمة رقة لا تخلق هنا جواً شعرياً ولا جرساً حسياً لأن الكبرياء ضدها الذلة لا الرقة، الرقة ضدها القسوة والرقة هنا في مقابل الكبرياء خسفت معنى البيت وانزلته من الذروة الى السفح والله أعلم بالحقيقة، والقى الشاعر الكبير نظرة على حبيبته فرأى قواماً كالضوء أو كالغصن حسب التعبير القديم يطوق خصريه رباط من حلي فزاده جمالاً على جمال ويصور ذلك الغصن اليانع بالزهور قد انسكب عليه الطل فهو مطلول وينفض

جانبيه من فروج ذلك القميص الذي يضيع منه العطور كما تضوع الورود في فرح وبهجة يعتز بشوق محبوبه وبجماله وبكبريائه ويدل بها على محبوبه، ويختم الشاعر سمفونيته بخاتمة زخم تؤذنك باسدال الستار، ومن له يأتي به ومنزلها قريب من منزله والمال كثير غير قليل واستعمل شاعرنا الكبير هنا كلمة المال المادة وليته لم يستعملها وظل في برجه المعنوي ولم يخرج منه إلى الحياة المادية التي لا طعم فيها ولا معنى والحب لا يباع ولا يشرى إنما هو أنوار وأسرار تشرق في القلوب وفي الروح فتتعلق هذه الروح بالروح الأخرى التي ربطت بينهما تلك الأنوار والأسرار ومزجتهما امتزاج الماء في الدم، وهذا نقدٌ نوجهه إلى شاعرنا الكبير من وراء التاريخ لو كان يجدي النقد بعد أن طوى التاريخ القهقرى قروناً وقروناً.

وقال ايضاً:

ليلة بليال

فلما التقينا كنت أول واجد

ولما افترقنا كنت آخر سالي

وليلة وصل بات منجز وعده

حبيبيَ فيها بعد طول مطال

شفيت بها قلباً أطيل غليله

زمانا فكانت ليلة بليالي

فيا زائراً لو استطيع فديته

بأهلي على عز القبيل ومالي

وعوداً على بدء لنقضي ساعات مع الشاعر الكبير ونستمع إلى هذه اللحون الفنية التي يندر أمثالها في النغم الحسي الذي يرقص الصخر فكيف بها بالقلوب الجارحة الحساسة التي هي مثار الحب والعواطف فيصور لنا الشاعر الكبير لقاء الأحباب مع

الأحباب وكيف هذه اللقيا الرائعة التي لا تحسب من العمر بل هي العمر كله في تلك الساعات، فاللقيا بالحبيب أثارت الوجد والحب الكامن كما يكمن الجمر وراء الرماد فكان أول واجدٍ عند اللقاء وعند الفراق، الفراق المر الذي يعقبه حسرات ألالم كان آخر سالي ومن أين السلوى تاتي بعد الفراق لأن الفراق مر المذاق، ويصور الشاعر حبيبه إنه أنجز له وعده وبات معه تلك الليلة بعد مطال طويل وما ألذ المطال بين المحب ومحبوبه وهو يستعذب فيه العذاب ويستلذ بأوعاد المِطال، وتأمل هذه الصورة المتحركة كلها من بلاغة ومعاناة بعيدة المرمى إنه أشفى بتلك الليلة ذلك الغليل المعاناة التي أطال عليها الزمن فكانت تلك الليلة يمتد فيها الزمن حتى تصبح ليلة بليالي، ويتمنى أن يطيل زائره وتستمر زورته ولو يفدّيه بأهله وماله وهذا أقصى غاية الجود لدى قلوب العاشقين، ونريد أن نشير إلى بيت لنصححه حسب رؤيتنا وهو:

وليلة وصل بات منجز وعده

حبيبيَ فيها بعد طول مطال

هكذا وجدته في الديوان في المجلد الثاني صفحة ٦٨٨ طباعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت لبنان والصحيح،

حبيبي وفيٌّ بعد طول مطال

لأن إنجاز الوعد هو من الوفاء وبهذا التحريف الموجود في الديوان مسخ البيت ومحقه ومحى بلاغته ولا أدري هل هذا من الطباعة أو من الشارح والله أعلم ونريد نشير مرة أخرى إلى أن أمير الشعراء أحمد شوقي أخذ وأقتبس معنى بيت الشاعر الكبير الرضي من بيته الذي يصور أمتداد الزمن وطوله في تلك الليلة حتى أصبحت ليلة بليالي فبيت شوقي هو هكذا من مسرحيته كليوبترا.

يومٌ بأيام لكثرة ما مشت

فيه الحياة وليلةٍ بليالي

فكان شوقي في أقتباسه من الشريف موفق لأنه شاعر عبقري يعرف كيف يولد المعنى ويصوره يولد فيه معانٍ ولعل شوقي وفق في بيته وأصبح أبلغ من الصورة التي في بيت الشريف الرضي وهكذا الشعراء العباقرة.

وقال رضى الله عنه :

الدخيل المجمجم

ولي كبد من حب ظمياء اصبحت

كذي الجرح يُنكى بعدما رقأ الدم

اصاب الهوى قلبا بعيدا من الهوى

وما كل من يبغي السلامة يسلم

اجمجمُ عن عواد قوميَ علتي

وحبكمُ ذاك الدخيل المجمجم

ونعود لسهرتنا الغزلية لنتحاور مع الشاعر الكبير في شعره التصويري الذي نترجم أسرار لغة الحب في حروفٍ لا تصورها حروف إنما هي صورٌ ناطقة تصور ما تشير إليه كأنك تراه بعينك وتلمسه بيديك

فيصور الشريف كبده من حبه لتلك العيون فإن كبده أصبحت ذابلة فإن الكبد اذا ذبلت أوشكت على الانتهاء وبنهايتها

ينتهي صاحبها وكل ما سكن جرحه نكأه الشوك فسال دمًا كأنه لم يسكن ولا شفى من البرء.

ويصور ذلك الغرام لم يتعرض له إنما جاءه رغمًا عليه وليس له خيار في دفعه ولا يدان له في رده، ويضرب مثلا ما كل من أراد السلامة يسلم.

وعندما يزوره عوادهُ يخفي عليهم حبه ويجمجم علته فلا يعرفون عما في قلبه من حبٍ متيمٍ مجمجم.

وقال رضي الله عنه في معنى أبيات في مدح السواد

ذات الطوق

اذات الطوق لم اقرضك قـلبي

عـلى ضني بـه ليضيـع دَيـني

كفاك حـلي جيـدك ان تُحَلـي

بأطـواق النضــار او اللجـين

سكنت القلب حيث خلقت منه

فأنت من الحشى والنـاظـريـن

أحبك إنَّ لونـك لـون قـلبــي

وإن البستِ لـونـاً غيـر لـوني

عديني وامطلي وعـدي فحسبي

وصــالاً أن أراك وأن تـريـني

ولا تستهلكي بيـديك قـلبــى

فـان القـلب بيـنكم وبيــني

سمعت لها حواراً كان هجراً

لسامعه تُلقي باليدين

كأن الظبية الأدماء حارت

إليَّ بناعم العنبات لين

نظرتك نظرة لما التقينا

على وجلين من هجر وبين

كأني قد نظرت سواد قلبي

بوجهك ظاهراً لسواد عيني

ولا زلنا في سهرتنا الممتعة مع شاعرنا الكبير ننفق الساعات في تأملات في لوحات فنية فتصوروا معي هذه السمفونية وما فيها من صورٍ فشاعرنا هنا في هذه الرسمة يرسم صورة لحبيبته فيوهم مخاطبيه أنه يتحدث مع ذات الطوق الحمامة الطائر من غصن إلى غصن فهو يكني بها عن محبوبته أو يتسلى عن هجرانها إن كان يشفي التسلي من وهج لهيب الحب فكفاها بتحلية جيدها بالفضة أو العسجد فلا يقرضها قلبه خشية من ضياع دَيْنه ويسليها بتحلية جيدها بالفضة أو الذهب، ولكن الحب لا يجمحه سلو ولاصبر متصبر فإنها سكنت قلبه فكأنها خلقت منه فهي صورة مرسومة في الحشى وفي الناظرَين لا تنفكُ عنهما

ثانية، ويصور الشاعر الكبير هذا الحب فحبيبته امتزجت امتزاج الماء بالدم وإن أختلف لونهما وصورتهما وهو يطلب منها أن تعده بالزيارة وتمطله ففي الوعد والإمطال لذة ما بعدها لذة وكفاه من الوصل أن تراه ويراها، ولا يزال الشريف في حرفه الخطابي الممزوج بلحن الحب ولوعة الشوق فهو يستعطف محبوبته أن لا تستهلك قلبه وكلمة استهلاك في هذا التعبير تعبير رائع ويصور ذلك الغرام الممزوج بالقلوب وهذا المزج قسم القلب بين الحبيبين فأضفى علي الصورة روعة وإبداع فيجعل هلاكه بيدها فالقلب مقسوم شطرين بين الحبيب والمحب فهو لا يملكه، وهذا تعبير وتصوير فيه نكتة بلاغية وحب جاحم، ويترجم الشاعر الكبير حوار حبيبته وهو حوار الهجر فإن سماعه لهذا الحوار كان وهجاً في قلبه يتلقاه بيدين ليس له خيار ولا سلطان، ويصور الشاعر ساعة اللقاء كيف التقت النظرات التي تلامعت بينهما ورسمت قراءة الوجلين اللذين حروفهما من هجر وبعد فإذا اجتمع الهجر والبعد تضاعفت المرارة وضج الحنين لأنَّ الهجر لا يطاق وكيف أعقب الهجر بعدٌ وهو لا يعرف أخبار حبيبه ومكانه وماذا حلَّ به، وكانت هذه النظرات نظرات القلوب للعيون وهذه أبلغ لغة في لغة الحب لا يعرفها إلاَّ الذين دابوا وأنصهروا في بوتقة العشق، العشق الذي يستعذبون العشاق فيه العذاب.

وقال ايضا قدس الله تعالى روحه:

ضجيعان

تضاجعني الحسناء والسيف دونها

ضجيعان لي والسيف أدناهما مني

إذا دنت البيـضاء منـي لحـاجـة

أبى الأبيض الماضي فأبعدها عني

وان نام لي في الجفن إنسان ناظر

تيقظ عني ناظرٌ ليَ في الجفن

اغرت فتـاة الحيّ ممـا ألفـتـه

اغلغله دون الشعـار مـن الضـن

وقالت هبوه ليـلة الخـوف ضمـه

فما عذره في ضمه ليلة الأمـن

ونحـب أن نفتتح سهرتنا مـع شـاعرنا الكبيـر لنتحـاور معـه ونسائله عن هذه اللوحة التي جاءت على أسلوبٍ غير أسلوب الغـزل

أو التشبيب أو النسيب كلهما معنىً واحد ويصبون في حرف يشير إلى صورة واحدة وأريد هنا أن أقف من الشريف الشاعر الكبير موقفا ناقداً الذي لم يعجبه هذا الأسلوب التشبيبي وكيف يضاجع حبيبٌ حبيبتَه والسيف بينهما فهل بات الشريف على قلقٍ وخوفٍ من أن يداهمه عدوٌ وكيف تطمئن تلك الحبيبة الحسناء إلى مضاجعته والسيف يفصل بينهما ويسرف الشريف كل الإسراف فإذا دنت منه الحسناء لحاجة وحاجة الأنثى معروف سرها، والله أعلم ماذا يقصد الشاعر فالسيف يبعدها عنه ويشير الشريف إلى أن السيف أقرب إليه من تلك الحسناء، وأسلوب شاعرنا الكبير في هذه القطعة يخالف أساليبه في التشبيب والحجازيات حيث لم يكن هنا غزِلاً أو شاعراً يتصنع الغزل، نحن نعرف إن غزل الشريف وحجازياته ليست هي ظلاً من واقعه الحقيقي إنما جاءت من رقة طبعه ومن الفن إلى الفن ولا تمت لحياته الواقعية بصلة أو قرب كما دللنا على ذلك وهنا لعل الشريف أراد أن ينفي ما قاله من صورٍ في حجازياته أو في تشبيبه وهذا ليس ببعيد وقد أشرنا في هذا الكتاب عن هذه الظاهرة في بحثنا في الصفحات السابقة وشاعرنا يكمل هذه اللوحة التي لا تمت للغزل بظلٍ ولا تتصل به بل هي بعيدة كل البعد، وليس هناك شاعرٌ محبٌ حتى لزوجته أن يبيت معها والسيف بينهما، وإنّ حلم جفنه بناظرٍ استقيظ الناظرُ الذي في

عينه لينفض ذلك الناظر الذي حلم بحبيبه أو رآه رأي العيان، وشاعرنا أخذته لفتة وعرف إن هذه السمفونية ليست غزلية فمثلها على لسان فتاة الحي أنها كيف الفت الحياة معه فأشار أنها نفرت من هذا الأسلوب فأرادت العذر له ولكنها عادت فأنكرت هذا الأسلوب وقالت ليس هذا أسلوب حبيب لحبيبه فلو افترضنا أنه بات والسيف ضجيعه دون الحسناء في ليلة الخوف فلعل له عذره ! فكيف عذره في ليلة الأمن لماذا؟ كما نلاحظ على بيت من هذه القطعة رسم في الديوان هكذا، اغرت فتاة الحيّ مما ألفته أغلغله دون الشعار من الضن،

وهو غير مستقيم الوزن والمعنى لإن ليس في صورة البيت الشعري ما يغري الفتاة أو ما يثير العواطف إنما هو منظرٌ مرعبٌ مخيفٌ تنفر منه الحبيبة وتشمأز من ذلك المضجع القلق الذي يفصل السيف بينها وبين حبيبها والصحيح كما يراه الذوق السليم

، ارقت فتاة الحيّ مما ألفته اغلغله دون الشعار من الضن

، لأنها في صورة منظرٍ يأرقها يطير النوم من أجفانها ويسهدها كتسهيد النجوم هذه رؤيتي ولا أحكم هل هذا التحريف من الشراح لديوان أم من الطبع والله أعلم بذلك.

وقال أيضا في الغزل ويصف الروض على لسان بعض الناس هي من أول قوله

اسقني

اسقني فاليوم نشوان	والربى صادٍ وريان
كفلَتْ باللهوِ وافية	لك نايات وعيدان
حاز وفد الريح فالتطمت	منه أوراقٌ وأغصان
كل فرع مال جانبه	فكأن الأصل سكران
وكأن الغصن مكتسياً	من رياض الطل عريان
كلما قبلت زهرتها	خلت ان القطر غيران
ومقيل بين أخبية	قلته والحي قد بانوا
في اصيحاب مفارشهم	ثم انقاءٌ وكثبان

ولا زلنا في سهرتنا وحوارنا مع شاعرنا الكبير الذي رسم لنا صوراً متحركة في الحجازيات وفي شعره التشبيبي ولكن الشاعر قد ينحوا أسلوبا لا يصل للقمة التي ضرب فيه بيته وأشرف يطل على الدنيا من علٍ ويحلق في جوٍ لا يخنقه عدم

الأكسجين فنتحاور معه في هذه السمفونية التي بدأها بطلب السقي في يوم ذلك اليوم نشوان أو بالأحرى أراد الإنتشاء لبعض الأزهار ويشاركها في تلك النشوى شريحة منها صديانة وأخرى ريانة ولا أعرف سر هذا التقسيم للربى، ويصور ذلك السمرَ إن فصل اللهو حازته وافية فلها الناي والعود وتحركت الريح فتشابكت الأوراق والأغصان فتتصورها من تشابكها كأن أصلها سكران ثمل وهذا تصوير إبداعي، ويصور الأغصان بعد أن كانت سكرى تتراءى لك كأنها مكسية من الرياض والزهور وتتصورها من بعيد من الطل الذي انسكب عليها من السماء كأنها عريانة فهي كاسية عارية وهذا تصوير الضدين فهو من أبدع التصوير، وقد صور الشاعر بين هذه الرياض الكاسية العارية مقيلاً له من خيامٍ، فالخيمة هي شعار العربي ورمز الصحراء لا رمز الرياض والبساتين ولا أعرف شاعرنا الكبير كيف أقحم الخيمة بين الرياض ولم يكن مقيله بين تلك الغصون التي تحنوا عليه بظلالها ولذلك أضطر أن يصور تلك الزهور كلما قبل زهرة من تلك الزهور كان القطر غيرانا من تلك القبل، وصور الشاعر إن صحبه مفارشهم وسمرهم بين أنقاء ورمال ولعل الشاعر أراد إن قسماً من الصحاب سمرهم بين الرياض وآخرون ضربوا خيامهم في الصحارى بين النقى والرمال فيتخلص الشاعر من نقدنا الذي وجهناه له ومع ذلك لا يزال نقدنا

قائم لأن شاعرنا الكبير يعيش في مدينة السلام بين القصور والحدائق الغناء وعلى ضفاف دجلة فأين الصحارى وأين الرمال وأين الكثبان وأين الخيام هل هو هذا شعرٌ تقليدي، ما عهدنا بشاعرنا أن يسير في شعره على أسلوبٍ تقليدي إنما هو يبتكر المعاني أو يولدها من فكر سماء عبقر ولكن الشاعر قد تعتريه كبوة وجل الذي لا يكبوا سبحان الله الذي تفرد بكل شئ وجل وعظم عن مخلوقاته هذا ما أردت أن أرسمه وأصور حديثي عن هذا الفصل الشعر التشبيبي واكتفي بما رسمته لأدخل لفصل الأمثال.

فصل الأمثال

ونريد هنا أن نعطي صورة مقتضبة عن الأمثال العربية وما معناها ومتى نشأت وما الفرق بين المثل وبين البيت الشعري فهذا شعرٌ وهذا شعر، فنتحدث أولاً عن تعريف ماهية المثل أو طبيعته ولماذا سمي مثلا ؟ فنجيب عن هذه التساؤلات إن المثل هو الذي يمثل ظاهرة على واقع الحياة أو خلجة إنسانية بحيث يجري ذلك البيت على ألسن الجمهور ويتعاطى ذلك المثل حتى يصبح مبتذلاً على ألسن الناس ويتمثلون به في كل خلجةٍ من الخلجات سواءً أكانت خلجة بلّية أو فرحة أيهما مرت على إنسانٍ يتنفس بذلك المثل ليخفف عن ألمه أو يزيدها فرح وسرور هذا هو المثل وقد قال القرآن الكريم وقوله الحق (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) سورة الحشر الآيه عشرين فما بعد هذا التعريف تعريف يصل إلى هذا التعريف ويصوره كما صوره القرآن العظيم الذي هو تنزيل من الرحمن الرحيم فالمثل فيه عبرة وذكرى لاولي العقول أما متى بدأ المثل ومن أنشأه فإن الحاجة وليدة الاختراع أو الاختراع وليد الحاجة وفي اعتقادي إن كل إنسان له خلجات وأحاسيس فهو ينفث عن هذه الأحاسيس بكلمات تعبر وتعكس تلك الظواهر النفسية فلعل المثل بدأ عندما بدأ الإنسان على هذا الكوكب المسمى بالأرض ولكنه تطور مع تطور اللغة

والحضارة حتى جاء الإسلام وجاء القرآن وحضر الفكر وهذّب العقل وأضاء للبشر في حياته المدلهمة وطور اللغة العربية فحازت السبق الأول في مضمار اللغات وكانت هي أشرف اللغات لأن كتاب الله نزل بهذه اللغة العربية وهي لغة أهل الجنة حسب الأخبار الواردة عن حبيبنا وشفيعنا ونبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار، فقد عرفت لك ياقارئي الفرق بين البيت الذي هو شعرٌ مهما كانت ماهيته من التصوير ومن الإثارة للعواطف فقد يكون أعمق من المثل وأبلغ منه لكنه لا يكون على الألسن سياراً بخلاف ماهية المثل فقد يكون في تركيبه من معاني بسيطة يفهمها السواد الأعظم من عامة الناس ويستريحون في جو ذلك المثل ويتمثل به وهو لا يعرف قائله وما قيمة هذا المثل إنما خفف عن ألمه بهذا المثل واستراح في جوه ولو ثوانٍ مرت عليه مطمئنًا ساكن النفس حيث ألقى أثقاله في ذلك الجو، فللأمثال دورٌ في هذه الحياة وأحلى ما يكون المثل إذا جاء أنبعاثًا طبيعياً لا تكلف فيه فإذا عرفت هذه الصورة التي أعطيناها عن طبيعة المثل وفرقنا بينه وبين الصور الشعرية التي تسمو سمواً معنوياً وتهز القلوب وتثير العواطف ولكنها لم تكن مثلا سيارا في معانٍ واضحة الدلالة مفهومة القصد، فأبدأ بأقوال شاعرنا الكبير ونسجل له أمثالاً تدور مع الحياة ومع الإنسان في حاجته وخلجاته

الأمثال من المجلد الاول

وقال في الأمثال :

من قصيدة صبراً على الضراء

صبرا على الضراء واحتسابا

اصـبرنا اعظمنـا ثوابـــا

من قصيدة حجاب العفافة

فكـــم أبيـــت وعنــــدي

لـــذي المقاديـــر ذنـــب

من قصيدة غرور القلب

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطـري

كأنك من عيني نقلت إلى قلبـي

من قصيدة طيف الحبيب

كـــان قلبـــي إليـــه رائـــد عينـــي

فعلـــى العـــين منـــة للقلـــب

من قصيدة مشغوف ومشغوفة

وفــي القلــب داء فــي يــديك دواؤه

ألا ربَّ داء لا يـــــراه طبيـــــــب

من قصيدة آه من دائين

آه مـــن دائـــين عــدم ومـــشيـب

رب ســـقم لا يـــداوى بطبيــــــب

من قصيدة آفة الأخبار رواتها

وهـم نقلـوا عنـي الـذي لـم أفـه بـه

ومـــا آفـــة الأخبـــار إلاَّ رواتهـــا

ومـا الـنفس فـي الأهلـين الا غريبـة

اذا فقـــدت اشـــكالها ولداتهـــا

من قصيدة الأرض تشبع والبطون غراث

خـذ مـن تراثـك مـا استطـعت فإنمـا

شـركـــاؤك الأيـــام والـــوراث

من قصيدة إلام أصفيكم ودي

ظـن رأسـك قـد أعيـاك محملـه

ورب ثقـل تمنـاه الـذي طرحـا

من قصيدة الحبيب المحبوب

عـيش الفتـى كلـه وقـت يـسر بـه

مـن الـدُنا وجميـع العـيش مفقـود

من قصيدة رداء من الجمال

وناضـب مـال وهـو فـي الجـود فـائض

وناقص حظ وهو في المجد زائـد

وسـاعد جـدي فـي بلـوغي إلـى العلـى

ومـا بلـغ الآمـال الا المـسـاعـد

من قصيدة المراء كالقضيب

لـو رأيـت الغـرام يبلـغ عـذرا

قلـت حزنـا ولـم اقـل لـك صبـرا

من قصيدة المشيب هو الفقر

ولا تحــسبا أنــي نــضوت بطالتــي

نزوعاً ولكن صغَّر اللذة الكبــر

من قصيدة اليوم الأبيض

وقــد كنــت أدعــو أن تـؤخر مدتــي

لعلـي أرى يومـا مـن العـدل ابيـضـا

من قصيدة غربان الناس

مــا اخطأتــك ســهام الــدهر راميــة

فمــا أبـالي مــن الـدنيا بمـن تقــع

من قصيدة الثراء بالقناعة

مقـــيم مـــن الهـــم لا يقلـــع

ومــاض مــن العــيش لا يرجــع

وقال في الأمثال من المجلد الثاني :

من قصيدة بالجد يبلغ الشرف

صـرفت نفـسي عـنكمُ وهـي غانيـة

والنفس تصرف احياناً فتنـصـرف

مـا اعجـب القـسمة العوجـاء يقـسمها

الـدار واحـدة والـورد مختلـف

من قصيدة قصاير في بيوت العز

نغالـب ثـم تغلبنـا الليالـي

وكـم يبقـى الرمـيُّ علـى النبـال

من قصيدة نحبها ونودعها مرغمين

ولا تقـل سـابق لـم يعـد غايتـه

فمـا المقـدم بالنـاجي ولا التالـي

فليس حيٌّ من الدنيا على ثقة

والدهر أعوج لا يبقى على حال

فلا يسرك إكثاري ولا جدتي

ولا يغمك إقتاري واقلالي

أرى يقين المنى شكاً فأرفضه

ما اشبه الماء في عينيَّ بالآل

من قصيدة شر اللباس

يأتي الحمام فينسي المرء منيتهُ

وأعضل الداء ما يلهي عن الأمل

من قصيدة غيري يحول عن الود

وكذا الصديق اذا أراد قطيعتي

ظن الظنون وقال أنت ملول

من قصيدة ليس العز بغال

إنما يدخر المال لحاجات الرجال

والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

من قصيدة المال

قـــد يبلـــغ الرجـــل الجبـــان بمالـــه

مـا لـيس يبلغـه الـشجاع المعـــدم

من قصيدة أعز من القلب

وكـم صاحب كالرمح زاغت كعوبه

أبـى بعـد طـول الغمـز أن يتقوّمـــا

من قصيدة تراحلنا الأيام

تُرحلنـــا الأيـــام وهـــي تقيـــم

ويجـرح فينا الخطب وهـو سليـــم

من قصيدة الفتى بعلمه لا بماله

قليـــل مـــن الخـــلان مـــن لا تذمـــه

وكـثر من الأعداء من أنـت همـــه

من قصيدة قنا آل فهر

ســبقت برميـــي قلبـــه فأصبتـــه

ولـو لـم أصـبه عـاجلاً لرمانـــي

من قصيدة خذوا نظرة مني

ومن يسأل الركبان عن كل غائب

فلا بد أن يلقى بشيرا وناعيا

من قصيدة أنت صديقي

فلست أرى الأَ عدواً مكاشفاً

ولست أرى الا صديقاً مداجيا

من قصيدة لست بخزان للمال

أرى الدهر غصَّاباً لما ليس حقّه

فلا عجباً ان يستردّ العواريا

من قصيدة أبكي ويبسم

هيهات لا تتكلفنَ لي الهوى

فضح التطبع شيمة المطبوع

وقفة معي أيها القائ الكريم لتقراء وتشاهد صوراً متحركة مشت فيها الحياة بألوانها وأحلامها وآلامها تجسدت أمام عينك على صعيد الواقع مثلا حياً سياراً يجسد لك كل خلجات من خلجات نفسك أو ما يمر عليك من بلوى الحياة

وهمومها وما يجد ويتطور بالأزمان الحاضرة واللاحقة حتى يرث الله الأرض وما عليها تتمثل في مثلٍ سيارٍ نغالب ثم تغلبنا الليالي وكم يبقى الرميُّ على النبال فهذه المغالبة وأمثالها مابقيت الدنيا وبقى الإنسان يسير على هذا الكوكب وهذه صورة مع مقدمتنا للأمثال البحث التعريفي وهذا الحرف الأخير يصور لك المثل ويوضحه، وهذا ما أردناه عن تعريف المثل وشاعرنا الكبير عندما أرسل هذه الأمثال الحية السيارة وعندما تحدثنا عن أمثال شاعرنا الكبير الشريف الرضي مرة ومضات ولمحاة في أعماق نفسي عن أمثال الشاعر العملاق أبو الطيب المتنبي، والمقارنة بين الشاعرين الكبيرين العملاقين في تصويري أن الشريف يمتاز في حجازياته وغزله على أبي الطيب والمتنبي يبز الشريف ويتفوق عليه في الأمثال السياره التي تدور دورة الشمس بل هي أسرع من الضوء في جريانها علي ألسن الناس حتى لا تكاد تخلو من لسان من ألسن البشر التي هي لوحات وصور فنية فيها من المبتكرات وتوليد الكثير الكثير وإذا قارنا الشاعرين العملاقين في الأمثال السيارة فهما قد أشتركا في هذا المضمار وضربا فيه أمثالاً حيةً تسير مع الحياة والمتنبي بز الشريف في صورة الأمثال في وضوحها وسيرها لأن الشريف الرضي لم يصل لهذا الشوط ولم يطر لهذا الأفق ولم نرد أن نوازن بين الشاعرين العملاقين برغم أننا لا ننكر ما للمتنبي من وثبات عبقرية وصور

شاعرية شغل بها الناس وكان الدهر راوية له ولم يكن هذا المجد وهذا الدوي في الحياة جاء صدفة للمتنبي أو مما يحالفه الحظ إنما جاء صورة لحقيقة ناطقة تشارك الأجيال والبشرية حياتهم وتزاحمهم في سيرهم وفي حركاتهم وسكناتهم، ولا شك أن لعوامل الحظ دور ولكن لا ينطبق صرفاً على المتنبي، فهذا العامل هو أقل دور من الحقيقة التي وهبها الله المتنبي ورزقه هذه العبقرية والوثبات التصورية، ولا أريد هنا أن أعقد بينهما موازنة فأضعهما في ميزان الحاسة الفنية لتزنهما فتخرج بترجيح واحد على آخر بل أترك الموازنه إلي الناقد البصير حيث له حرية الرأي فيحكم بما يراه وما أحلى أن أختم هذا الحديث برأى هو رأى سيد الأوصياء وسيد البلغاء بعد النبي الخاتم صلي الله عليه وآله فقد سؤل سيد البلغاء الإمام علي سلام الله عليه عن رأيه من هو أشعر الشعراء فكان جوابه بليغاً فاصلاً في هذه القضيه وأنا لا اتذكر نص الجواب وإنما أسجل هنا معناه الشعراء لم يسيرو كلهم في حلبة واحدة وإذا لابد من ذلك فالشاعر الضليل يعني به إمرأ القيس فنخرج من هذه الموازنة العامة وهذا الحكم بأسس فنيه وهي إذا أردنا أن نوازن بين شاعرين فلابد أن يكون الشاعرين جرى في موضوع واحد وقصيدهما ترسم وتصور الموضوع الذي تتحدثان القصيدتان عنه وندخل إلي فصل آخر وهي صور من المعاني العامة

صور من المعاني العامة

وهنا نريد أن نتحدث عن تعريف الشعر وما هو الشعر ونضع موازين تعريفية تفرق بين الشعر والنظم فما كل قول هو شعر فالقول ينقسم إلى شعر ونظم فالشعر هو ما نز عن إيحاءات نفسية وتفاعلات روحية من أي لون من ألوان الحياة على اختلاف صورها وبلاياها وأحداثها وما يبعثه الحب أو البغض أو تلك الابتسامة البيضاء التي تشع كأضواء الصبح أو تلك الدمعة التي ينسكب فيه القلب جريحاً وما عدا هذا اللون فهو نظم حروف صفها ناظمها فهي بلا روح ولا سحر فيها ولا صور إنما هي كلمات جوفاء تقليدية فالشعر ما كان عاطفةً أو ذكرى وإذا لم يكن ذلك فهو تقطيع وأوزان، فالشعر ديوان العرب وترجمان أسرار القلوب وتفسير إشارات العيون، الشعر منبعثٌ ونابعٌ من الشعور فإذا لم يكن الإنسان لديه شعور وإحساس فما هو إلا من شريحة الأغبياء أو المخبولين الذين حرمتهم الحياة من متعة العقل، العقل الذي به يعُبد اللهُ وبه طور الإنسان هذا الكون وسابح حيتانه بحوره وزاحم طيوره فالعقل نبراس ينير للإنسان هذه الدنيا ولولا العقل لما كان للإنسان فضل أو ميزة تميزه على الحيوان حتى قال حكيم العرب

لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ

أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

وحديثنا هنا عن شعر شاعرنا الكبير الشريف الرضي التي رسمت ريشته ألواناً وصوراً من الشعر فهذه الريشة الشفافة رسمت لنا لوحات فنية من كنوزٍ اثرت اللغة العربية ويحتاج إلى دراسة عميقة وما أكثر عدم اهتمامنا بتراثنا الضخم وهذه الحياة قد تُعطي شويعراً مكانة ضخمة وشاعراً كبيراً تهمله ويضيع وراء جدر التاريخ حتى يبلغ به الضياع إلى الإندثار وليس موضوعي هاهنا الحديث عن الشعراء الذين منحتهم الحياة حظاً فعلو على أكتاف أعلام الدعاية الكاذبة التي تخلق من الأقزمة أبطالاً حيث ترفعهم الدعاية وتنصب لهم تمثالاً عالياً فيتيه ويملأ الحياة كبرياء والأمم منذ درجت على هذا الكوكب تعلي من ينافقها ومن هو ذو شخصية مزدوجة فأمة تعبد من جهلها البقرة أو الحصان أو الهرة فأولى بجهلها أن ترفع من البشر قزمة عالياً وتهمل العمالقة الذين كانوا شموساً تضيئ عتمة الحياة فيهملون بل يقبرون وهم أحياء فيصدق علينا قول الشاعر:

قَـزْمـةٌ هم نَصَبوه عالـياً
وجَثَوا بيْن يَديهِ فأشْمَخراً
ضَخَّموه وأَطَالوا فَيْئَه
فَتَرامَى يملأُ الآفاقَ فُجْرا

عظَّمُوا طِرفاً وقبْلاً عَبَدتْ

أممٌ من جهلِها ثَوْراً وَهِراًّ

لا أريد أن أتحدث عن أولئك الشعراء الذين أهملتهم أمتهم ولم تحتفل بحياتهم ولا أفكارهم وآثرهم ولم تكتب عنهم بحرف واحد إنما أريد أن اتحدث عن صورة من شعر شاعرنا الكبير الشريف الرضي وهذا البحث أدرته على قسمٍ من شعره الذي هو خارج عن حجازياته أو رثائه أو تشبيبه أو أمثاله السيارة وقد أعطينا عن كل قسم صورة تعريفية فلنبدأ هنا بالشعر غير المقيد بالأقسام المشار إليها إن صح هذا التعبير.

بين ليث وكلب

وأنت أقـل فـي عيــني مـن ان

أروعك او أشن عليـك حـربـا

أاعجب من خصامك لي وجدي

رسول الله يــوسع منــك سبــا

ومن رجم السماء فـلا عجيب

يقال حثـا بوجه البـدر تـربـا

فأنك إن هجوت هجـوت ليثـا

وإني إن هجوت هجوت كلبـا

ونريـد أن نـسهر مـع الـشريف فـي سـمفونية تمثـل الأخـلاق الرفيعـة والـشعر ولـكـن الأخـلاق تبـدو هاهنـا أروع مـن الـشعر والشاعرية فهو يخاطب من يسبه بتحذيرٍ ففي أسلوبه إنـه لا يروع خصمه الذي بدئه بخصومته وواجهه بها وسبه فهو لا يرعه ولـكـن ويحذره أن سببتني فإنك سببت وشتمت ابن رسـول الله لأنـه جدي

صلى الله عليه وآله النسخة الإنسانية الكاملة خاتم الأنبياء وسيد البشر وأفضل الخلق من الأولين والأخرين وكيف لا تحترمني وأنا جدي من تعرف الذي أَرسل رحمة للعالمين ومنقذ الإنسانية، وانك إذ تسبني فإنك ترجم السماء لرفعة مكانتي التي رفعتني بانتسابي إلى الخاتم صلى الله عليه وآله والسماء لا يصيبها منك رجم وكأنك تحثو ترابا في وجه البدر ولا يصيبه من هذا التراب ذرة ولا يصل إليه غباره وإن هجوتني فإنما تهجو ليثاً والليث معروف بشجاعته وأنا إن هجوتك إنما أهجو كلباً حقيراً.

وقال أيضا في المعاني العامة

من قصيدة فيا لك دنيا

فكيف وثقتم بأعوامها

ونحن نضن بساعاتها

فلا تطلبن لهم عثرة

ستأتيهم هي من ذاتها

تمر الليالي على نهجها

وتجري الخطوب لعاداتها

ونعود لسهرتنا الحلوة لدراستنا ومواصلتنا البحث مع شاعرنا الكبير في هذه القطعة السمفونية التي فيها أسلوبٌ وعظيٌّ وتحذير لعدم ضياع الأوقات فإنها من العمر وكل لحظة أو ساعة مرت هباء ضاعت من العمر لا تعوض ولا ترجع فكل دقيقة فاتت فليست بآتية فاسمعه في أسلوبه الشعري فإنه ليس شعراً وعظياً كشعر وعاظ السلاطين إنما هو شعرٌ وكفا بكلمة شعر، ياأيها الناس والخطاب في أسلوبه يخص شريحة من شرائح البشر

كيف إنكم وثقتم بالأعوام وأستسلمتم لها لاهين ونحن نبخل بساعاتها، فلا تفتش عن عثراتهم فسوف تأتيهم من نفس العثرات فتبصرهم ويبصرونها ويرونها حقيقة فيأسفون ولا يجدي الأسف، فالليالي في حركتها لا تقف ولا تفتُر فهي تجري على طبيعتها حسب ما أمرها وقدر لها خالقها وهو يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وفي حركاتها تجري الخطوب ولا يستطيع أنسانٌ أن يقف سداً في وجهها فالخطوب تجري على طبيعتها.

(وقال عند ظهور الأمر في موت عضد الدولة مخاطباً أبيه وهو ذاك بفارس في القلعة وذلك سنة ٣٧٢ وسن الشاعر الشريف حينئذ فوق الثلاث عشرة بقليل وكان أبوالشريف مسجوناً في زنزانة بالقلعة).

من قصيدة طود ساخ

أبلغـا عني الحسين الوُكـاً

إن ذا الطود بعد عهدك ساخـا

والشهاب الذي اصطليتَ لظاه

عكست ضوؤه الخطوب فباخا

والفنيـق الذي تـدرع طـول

الارض خوىّ بـه الـردى فاناخـا

ولا زلنـا نتحـاور مـع الـشاعـر الـكبيـر فـي سـهـرتنـا الـمـستمرة فأمامنا لوحة من لوحاته الفنية صورنا منها مشهداً هو أمامك أيها القارئ فلنرفع الستار عنه لنشاهده، فهو يكتب لأبيه رسالة فيها رموز لأن والده ذلك الظرف مسجون في قلعة بفارس فكأنه يبلغه رسالة ويشير إليه بموت الملك الذي ظلمه وسجنه وقد انتهى أمره فسوف يجلى عنه ليل السجن ويشرق فجر طلوعه من السجن فإن الطود الذي كان سوراً مضروب على والده فإنه قد ساخا، وأن النجم الذي اصطلاك بالنار وأوقدها لك عكسته الخطوب وانتقمت

منه فباخا أي سكن وكل شئ وأنتهى، فهذه تعابيرٌ وإشارات بالغة ترمز لصورٍ هي من الصور الرمزية السياسية، ويفصح الشريف عن تلك الإشارات بأن ذلك الفنيق الذي بسط ذراعيه على هذه الكرة الأرضية لقد خوى به الردى فاناخا به وأنتهى وأنتهت صولته فأمسى جثة هامدةً لا حراك بها ولا لها صول ولا حول ولا قوة.

ونلاحظ على أول بيت من هذه القطعة فنصحح كلمة الوُكاً والصحيح أنها ألوكةٌ وهي الرسالة والرسالة مؤنثة وإنني أعجب كل العجب حيث لم يعطى هذا الديوان الشاعر الكبير العملاق الشريف الرضي العناية كما يعتنى بدواوين شعراء الأخرين ألإنه ينسب لآل الرسول وينتمي لمدرسة آل البيت وعامل ثالث جمعه وتحقيقه لكتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام هل هذا هوا السر في هذا الإهمال لا أدري فليرد عليا المفكرون.

من قصيدة ردوا تراث محمد

ردوا تـــــراث محمـــــد ردوا

لـيس القـضيب لكـم ولا البـردُ

هل عرَّقت فيكم كفاطمة

أم هــل لكــم كمحمــد جــدُ

جـــل افتخـــارهمُ بـــانهمُ

عنـــد الخـــصام مـــصاقع لـــدُ

إن الخلائــف والأولـــى فخـــروا

بهـــم علينـــا قبـــلُ او بعـــدُ

شـــرفوا بنـــا ولجـــدنا خلقـــوا

وهـــم صـــنائعنا اذا عـــدوا

ونفتتح سهرتنا هذه مع شاعرنا الكبير في لوحة فنية في

أسلوب سياسي فيه جرأة وتهديد وفخرٍ وتعالي وحق له أن يفخر وأن يتعالى لأن جده رسول الله سيد الخلق من الأولين والآخرين والنسخة الإنسانية الكاملة والتي لم يوجد مثلها منذ خلق الله الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها وحتى تقوم القيامة، وشاعرنا الكبير يهدد الدولة العباسية بأنها أستولت على القضيب والبرد للمصطفى صلى الله عليه وآله ولا حق لهم فيهما فيأمرهم أمراً أن يردوا القضيب والبرد إلى من هو أهله الذين هم أهل بيت النبوة وهم أحق بهما من بني العم العباسين لأنهم الأبناء ويدلّ شاعرنا بالنسب فهل لكم أمٌّ كفاطمة وهل اتصل عرقهم بفاطمة كما اتصل الشريف بجدته فاطمة وبجده رسول الله، وليس لكم إلا أنكم عندما يحتمي الجدل ترون أنفسكم خصوم لد وتدلون بالسيف لا بالفخر والمجد، فالشاعر يقرر حقيقة واقعية اختارها خالقنا فجعل النبي وآله العلة الغائية لخلق الخلق ولولاهم لما خلق سماء مبنية ولا أرض مدحية فكل شئ خلق من أجلهم فهم علة الإيجاد فالرسول هو أفضل من كل موجود لأنه العلة في وجود كل موجود وهذا فيضٌ وتفضل من فاطر السماوات والأرض على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله.

القلم الجوال

لك القلم الجـوال اذ لا مثـقـف

يجـول ولا عضب تهـاب مواقعـه

سواء إذا غشيته النـفس رهبة

وذو لهنم غشي من الـدم رادعـه

يلجلج من فوق الطروس لسانه

وليس يـؤدي ما تقـول مسامـعـه

وينطق بالأسـرار حتى تظنـه

حواها وصفر من ضمير اضالعه

اذا اسـود دونه وهـو أبـيـض

يسوّد وابيـضت علـيه مطـالعـه

ولا نـزال في سهرتنا مع شـاعرنا الكبير الشريف الرضي نتحاور معه من وراء جدار التاريخ فهو يشاركنا ويتنسم معنا

الهوء وكأنه يعيش معنا على صعيد واحد ونختصر دراستنا على هذه اللوحة الفنية التي نعرضها للقارئ كمشهدٍ يتمثل بين عينيه ويلمسه على لوحة الحياة، فشاعرنا الكبير يصور لنا ميدان الحياة كيف نتحرك وكيف نسكن وبأى أداة نستعين بها في ميدان الصراع فصراعا نستعمل فيه السيف والمثقف أى الرمح ومجال آخر عندما نتصارع أو نحارب عقيدة منحرفة أو فكر مهزوز فشاعرنا يقول في هذا الميدان ليس لك الا القلم القلم هو الذي أفضل من السيف ومن الرمح والقلم أفضل منهما لأنه يضئ العقول وينورها ويبصرُها ويرشدها للإصلاح ويبعدها عن الخطأ فالقلم هو الأداة المضيئة منذ ولد هذا الإنسان وحتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ستظل اليراعة نور تقذفه العقول فكراً منيراً في الأفكار المنحرفة أو العقائد الشاذه فيعيدها ويمسح عنها تلك الشكوك والرين الذي ران على تلك العقول فهو يخاطب القلم الذي ينبثق نوره من العقل بعكس الآلة الحربية كالسيف والرمح قديما والدبابة والطائرة وقذائف الرشاشات وما شابهها من الأدوات التدميرية التي تدمر البشر في عصرنا اليوم فهذه الأدوات لا تصلح فإنما تدمر وتقضي على البشر فالفرق بينها وبين القلم كالفرق بين الليل وبين النهار أو كما بين السماء والأرض ولولا القلم لضاع التاريخ وضاعت القيم ولم نعرف تاريخ الأنبياء وما جاءوا به من رسالتهم من الحق وما حملوه لهذه البشرية من هديٍ وسعادةٍ،

فالقلم هو الذي حفظ لنا هذه الأنوار وبقيت تسير كما يسير الزمن من جيل لجيل آخر فشاعرنا يقول إن القلم هو خير لك في ميدان لا ينفعك فيه السيف ولا الرمح فاجعل سلاحك فيه القلم، القلم الذي هو معجزة العقل وضوء من الفكر، ويصور الشاعر الكبير، متى تستعمل القلم وفي أي ميدان من ميادين الفكر سواء إذا غشي النفس رادع يردعها حين لا تسير في طريق الحق وقد تسير في طريق ملتوي فالقلم يرشدها ويضيئ لها مما يقتبس من ضوء العقل عتمة الحياة ولا يخشى من كل ذامٍ ردعه أو زجره، فالقلم تسمع له صريراً عندما يؤدي تلك الرسالة يخطها في ضوء حروف تبصرها العين ويقرؤها العقل ولكن لا يسمعها عندما يرسم أسرارها بعد ما يخطها فلا يسمعها السامع الذي يشاهد الكاتب الذي يسجل ما يمليه ضوء العقل عليه، ويغلو شاعرنا الكبير ويصور القلم عندما يخُط به على الطرس فهو ينطق الأسرار حتى يصورها فيخلي منها ضميره واضلعه ليحويها ذلك الطرس والشاعر كان دقيقًا في تصوره فيصور ما خطَ القلم كأنه خطٌ أسود من الحبر، فصوره بهذا المثال الدقيق يخطه سواداً ولكنه أبيض منير لما فيه من أنوار عقلانية روحية وان تراءت الحروف سوداء من الحبر، والعقل فيه أسرار دقيقة غريبة لا يصل لها إدراك الإنسان إنما يعرفها طاقة ضوئية ترشده وتعرفه الخطأ من الصحيح وإذا غلّب عقله على هواه كان من الناجحين

في هذه الدنيا والآخرة والعقل الذي شرَّف الله به الإنسان وارتفع عن جميع ما في الكون ولذلك كان القلم عظيمًا وقسم به خالق السموت والأرض فقال (أقرا وربك الأكرم الذي علم بالقلم) فهل بعد هذا القسم الذي هو من خالقنا مدح يعادل هذا المدح وبه شرف القلم شرفاً عظيما ولذلك ختم الشاعر سمفونيته بصباح مشرق ببياض المطالع وقال ابيضت عليه مطالعه

وإنني أستشهد هاهنا بأبيات أنا معجب بها وهي تتحدث عن القلم في ميدان لا يصلح فيه الحرب إلا بالقلم فآلة الفتح في ذلك الميدان هو القلم وهي للعلاَّمة المجتهد الكبير أحد أبطال ثورة العشرين سيد محمد سعيد الحبوبي في ديوانه المطبوع في المطبعة الأهلية في بيروت سنة ١٣٣١ هـ

رب أقلام تضاهي الأسلَ

في شباها وحدودِ المشرفِ

هي أحرى للفتى معتقله

حيث لا زحف لغير الأحرف

بالجد يبلغ الشرف

بالجد لا بالمساعي يبلغ الشرف

تمشي الجدود باقوام وإن وقفوا

اعيا من الدهر خُلُقٌ لا دوام له

البذل والمنع والإنجاز والخلف

ولازلنا في تحاورنا مع شاعرنا الكبير في سهرتنا الفكرية التي هي من أثمن شئ في العمر ولا تضيع هباءً لأنك تزجي الوقت في حوار فكري ودرس أدبي فلنبدأ البحث والدراسة مع شاعرنا الكبير في سمفونيته التي استمدها من واقع الحياة فهي مثلٌ من الأمثال السائرة، فإن هذه الصورة المتحركة تنبئُ أن الإنسان يبلغ بحظه مركزاً عالياً لا بالسعى إنما هو بحظه فقط والحظ قد يوصله إلى قممٍ عالية ولولا حظوظهم لما وصلوا إليها، ولم تكن عندهم كفاءة أو معرفة أو علم وقد يصلون بازدواج شخصيتهم وبخداعهم ومكرهم وتلاعبهم بعواطف الجمهور وهم خالين الوفاض وهكذا الحظوظ، وضرب شاعرنا العظيم مثلاً،

فالحظ الذي عبر عنه الشاعر بالجدود تعطي مراتباً أقواماً وهم واقفون على أقوام يتحركون في ميدان العمل و المساعي والفكر ولا يقصد الشاعر الأقوام الذين تمشي بهم حظوظهم وإن وقفوا إنما هو التوفيق الذي يوصلهم إلى مراتب ليسوا أهلاً لها حظوظهم وهم واقفون فالحظ هو سر غريب في هذه الحياة، فقد يكون الإنسان لديه كرمٌ وأخلاقٌ ولكن الدهر والحظ لا يحالفاه فليس له من هذا العطاء شهرة أو مقام في مجتمعه بل لا ينتبهون له وكأنه غريب يعيش بين إخوانه وصدق الشاعر الكبير في هذا التمثيل فهذه صورة من نماذج تشاهد في كل عصر وفي كل مصر.

صديق وصادق

كفى حزناً أني صديق وصادق

ومالي من بين الأنام صديق

فكيف اريغ الأبعدين لخلة

وهنا قريب غادر وشقيق

ونستمر في حوارنا وبحثنا الفكري لندرس ونتأمل في هذه اللوحة الفنية فشاعرنا الكبير يسيل حسرات واسفاً ويتقطر حزناً وهو صديق وصادق ولا يجد من بين الأنام له صديق يشاركه يماثله في الصدق والصداقة فهو يأسف كل الأسف ويحزن كل الحزن، فهو في حيرة فكيف يريغ الأبعدين وفيهم القريب والشقيق فلا يستطيع أن يقوم بهذه الظاهرة لأن نفسه لا تطيعه أن يسير في ميدان الجفى والقطع للرحم والأصدقاء وهذه القطعة تستمد من واقع الحياة المعاشه التي نشاهد مشاهدها في كل زمان ومكان.

قل الحامدون

قلـق العـدو وقد حظيـت برتبـة

تعلو عن النظـراء والأمـثـال

لو كنت أقنع بالنـقابة وحـدهـا

لغضضت حين بلغتها آمـالـي

لكـن ليَ نفـس تتـوق إلى التـي

ما بعـد أعـلاهـا مقـام عـــال

قالوا حجرت عـلى نداك وطـالما

أرغمت فيـه معـاطس العـذال

هيهات قلّ الحـامدون وصـار مَنْ

احبـوه يحسدني على أمـوالـي

من لي بمن تزكو الصنائع عنده

حتى أشـاطره كـرائم مالـي

وما زالت سهرتنا منعقدة مع شاعرنا الكبير وفي دراستنا لتلك اللوحات التي تطالعنا بصورها الفنية ومنطقها الإبداعي فهو يصور صورة من جانب الحياة التي أبتلي بها شريحة من البشر فتعيش في أتونٍ من الحسد فالشريف يعالج هذا الجانب فعندما أسندت له نقابة الحجيج ورمت عليه أكباد حساده وتمنونها لهم فشاعرنا الكبير الطموح يجاوبهم عندما حظيَ بهذه الرتبة قلق أعداؤه وهو يرى أنه يعلو على هذه الرتبة ويجيب حاسده أنه بين جنبيه نفسٌ طموحةٌ وترى النقابة هي مرتبة بالنسبة له أدنى مرتبة ولو أنه يقنع بها لاعتبر نفسه وصل إلى قمة آماله، ويصور طموحه في حروفٍ تشير إلى آمالٍ بعيدة فنفسه تطمح إلى الخلافة على حكم المسلمين لأنه أهلُ لذلك ومن ذوي العلم والفكر وجده أشرف الخلق فهو حقيق بذلك، ويصور قول حاسديه أنهم يتهمونه بالحجر على نداه ولكنه بهذه الأخلاق والكرم الفياض أرغم أُنُف حاسديه بالإعتراف له بالفضل، ويصور كيف تتحول شريحة من البشر وتتنكر لمن يُنعم عليهم ويحبوهم فيصور أنه قل الحامدون حتى الذين هو يحبوهم وينعم عليهم فيجازوه عن ذلك الإحسان بخلق سيئ فهم ليحسدونه على أمواله وما يعيشهم به، فيتمنى أن يجد صديقاً يزكو عنده الصنيع أي يقدر المعروف وما يسديه له صديقه فإذا وجده الشاعر الكبير سيشاطره كرائم أمواله وهذه صورة من الصور

الإنسانية التي تعيش في الوجدان تحرك الجماد وتهز القلوب وهكذا النفوس الكبيرة التي تعرف الحياة وتصورها وترتفع فوق المادة وشاعرنا جاء بأسلوبٍ شعريٍ فيه بلاغة ووضوح فهو السهل الممتنع، كما صور صورة لشريحة من واقع الحياة فكثير ماتمر عليك مثل هذه الشريحة في كل زمن وفي كل مصر حتى تنطوي هذه الحياة وينطوي البشر من على ظهرها فهذه الصورة تدور مع الحياة ما بقي الإنسان.

ليلة بليال

وقد كنت آبى أن أزل لصبــوة

وأن تملك البيض الحسان عقالي

خميصاً من الأشجان لا يوضع الهوى

بقلبي فلا اجتاز الغرام ببالــي

الي ان تراءَ السرب بين غزالــة

ترنـح في ثـوب الصبـا وغـزال

فلمـا التقينا كنت أول واجــد

ولما افترقنـا كنت آخر سالــي

ونعود لسهرتنا الفكرية وبحثنا الأدبي الذي هو من الأبحاث الدراسية فنتحاور مع شاعرنا الكبير ونخاطبه من وراء جدار التاريخ فهولاء العباقرة إن فنيت أجسامهم فآثارهم في القلوب موجودة وذكرهم على الألسن يسير كضوء الشمس مع الحياة، والتعبير المختصر البليغ الذي يحتاج إلى أسفار من الشروح هو

تعبير سيد الفصحاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء الإمام عليٍ عليه السلام عندما قارن بين فناء المال وخلود العلماء والمفكرين، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة، ولنفتتح حديثنا في هذه الليلة مع شاعرنا الكبير لنحلل مشهداً من مشاهد قصصه الشعرية فروح القصة وإن لم تكتمل عناصرها لتكون قصة إلا إنها لا تخلو من التحاور والتخاطب في كثير من أشعاره وهذه من مميزاته وقد أخذنا من هذا المشهد شريحة وضعناها في باب الغزل ودرسناها وشرحناها ونعود في هذه السهرة إلى افتتاح ما أشرنا إليه فنبدأ برسمها وتحليلها، فشاعرنا هنا يفاتحنا بأسلوب يباين أسلوبه الغزلي أو الأسلوب الذي أمتعنا إياه في حجازياته فأسلوبه هنا يترفع ويأبى أن يذلَ لصبوات وأن يخضع للبيض الحسان ولو هاجمه جيش جرار فهو لا يدخل محراب الهوى ولا الحب في باله ولولا شاعرنا ختم هذه القطعة بحبٍ وتعبير عن الرقة والحب والذل للحبيب لقلنا إنه كالصخر الأصم وليس مرهف الشعور وفاقد الذوق والحاسة الفنية، ووقفة معي أيها القارئ لتلمس ما رأيناه من دليل حسي على ذوق الشريف وفنه المبدع حين يصور مشهداً لما وقعت عينه وتراءى له سرب من النساء الغواني وهن يتمايلن مع غزالة من الغزلان أي فتاةٌ من ذلك السرب، وعند اللقاء كان قلبه لا يهدأ من الوجد وهو أول من دخل في قلبه الحب من أصحابه وعند الفراق كان آخر سالي،

فبعد هذا التعبير البليغ أليس هو دليل على ما قلناه من رؤية نقدية وشرحناه من درسٍ وتحليل.

ونحب أن نشير إلى عنصر مهم وذلك العنصر هو عدم الإهتمام لهذا الشاعر الكبير فتشاهد أيها القارء الإهمال الكبير فكم خطأ صححناه وهنا في هذه القطعة تشاهد يا قارئي خطأين ففي البيت الأول

وقد كنت آبى أن أزل لصبــوة

وأن تملك البيض الحسان عقالي

والصحصح وقد كنت آبى أن أذل لصبــوة إذ لا معنى لزلل هنا وهو الخطأ والخكأ الثاني

خميصاً من الأشجان لا يوضع الهوى

بقلبي فلا اجتاز الغرام ببالــي

والصحيح هنا خميساً من الأشجان أي الجيش الضخم والخميص لا معنى له هنا لأنه الجوع هذا ما وصلنا له من التصحيح لينسجم مع المعنى والله أعلم بالحقيقة.

عربي يعشق الغزل

أو عيـــداً يـــابني جـــشم

نَـــنقضُ الأطنـــاب والحلـــلا

وطـــراداً فـــي مُلَملَمـــةٍ

تـــستبيح الخيـــل والإِبـــلا

ونزاعـــاً لا ورود لـــــه

يعجـــم الحـــوذان والنفـــلا

ســـتراني مُـــسِنّ ثالثـــة

لا أضـــيف الهـــم إن نـــزلا

وخفيـــري فـــي غياهبهـــا

ســـابح ضَـــمنّتهُ الأمـــلا

طـــرب للـــصوت تحبـــسه

عربيـــا يعـــشق الغـــزلا

ســوف يغــشى أرضــكم أســد

يفـــرس الأيـــام والـــدولا

لا ينـــام الـــسيف فـــي يـــده

لا يـــرى فـــي بابـــل رجـــلا

انمـــا الـــدنيا لمقتـــدر

أيـــن ألقـــى قولـــه فعـــلا

ولانزال في سهرتنا مع شاعرنا الكبير نتأمل ونستمد من فنه السحري ما يطرب النفوس ويثير العواطف، وشاعرنا في هذا الأسلوب الشعري كان أسلوبه أسلوب ردع و رد على من يتوعده بمهاجمته وتقويض مضاربه والشاعر الكبير ذو النفس العظيمة يرد بأسلوبٍ ليس فيه قلق ولا إزعاج، وبرغم ما صوره من خصومه من حربهم الشعواء فهو غير مكترث بما عدوه له من مقاومة ولا يشعر بحزن عندما ينزل الخطب أو الهم، ويرد الشاعر الكبير ذو النفس الكبيرة على مهاجميه إن رفيقه في تلك العتمة هو ذلك السابح خيله فهو يطرب للحرب كما يطرب الشاعر العربي

للغزل، ثم يدل بشجاعته وبطولته فهو كالأسد سوف يغزو هذه الديار فيفترس الأيام والدول وهذا تعبير فيه نكتة بلاغية حيث عبر عن القتل بافتراس الأيام والدول، ولاحظ هذه النكتة حيث صور سيفه لا يغفو ولا ينام في يده لحظره ولأخذ الحيطة من عدوه خشيةً من مباغتته ولا يرى أمامه شجاعاً فيرجع عنه ولا يعرف الإدبار بل يكرّ عليه فيفترسه ويعلل هذه البطولة إذا لم يسيطر علي الدنيا فهي لا تكون إلا لمقتدرٍ قوله هو فعله.

نبت السيادة والحلم

رأت شعرات في عذاري طلقة

كما أفتر طفل الروض عن أول الوسمِ

فقلت لها ما الشعر سال بعارضي

ولكنه نبّتُ السيادة والحلم

يزيد وجهي ضياءً وبهجة

وما تنقص الظلماء من بهجة النجمِ

ولم نزل مستمرين في سهرتنا الفكرية وتحاورنا مع شاعرنا الكبير في لوحاته الإبداعية وأمامنا هذه اللوحة تطالعنا رسمة حرفية، فهو يصور الحياة لكل إنسان عندما ينتهي من ربيع

الشباب ويقف علي عتبة الكهولة أو على الشيخوخة، شيخوخة الخريف وتبدأ الشعيرات البيضاء تنبت في عارضيه فتنفر الغواني منه فشاعرنا يضفي على ذلك منظراً ليتسلى به ويسلي فتاته فهذه الشعيرات التي نبتت في عارضيه إنما هي كالطل فوق ثغر الزهور عند ما يفتّحه الوسم، فيحاول الشريف في أسلوب إغراءٍ يخفف من الكآبة التي تولد نفور لفتاته من الشعر الأبيض لتصويره ليس هذا شيبا إنما هو نابت من السيادة والحلم لأن السيد يحمل هموم أمته ويتسع صدره لأحمقهم وجاهلهم فتلك الهموم تنبت الشعر وتقربه إلى المشيب ويحلي هذا المنظر، فالشعر الأبيض يزين وجهه جمالاً وضياءً لأن الأبيض في الأسود يكون له ضياء ولمعان فما ينقص النجم ظلمة الليل، ولم أر شاعراً صور الشيب للنساء في صورة رائعة كالشاعر الحكيم المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس الذي قد بز الشريف الرضي في تصويره فأسمعه

راعتكِ رائعة البياض بمفرقي

ولو انها الأولى لراع الأسحم

تأمل معي هذا البيت يخاطب القوارير التي يتأثرن وينفرن من الشعر الأبيض فالمتنبي في أسلوبه التعبيري قد صور صورة فيها تأسي وتعويض للرجل الذي بدأ شعره الأسود يتحول ألى

أبيض وعندما تبصر هذا التحول تلك الفتاة التي ستنفر من هذا المنظر فصور المتنبي صورة حقيقية لهن ولامست قلب الواقع فالمتنبي دائماً يصور الحقائق التي تختلج في نفوس البشرية ويصل بها إلى حقيقة في بلاغة وتعبير دائما يصل به للقمم البلاغية بجناحين قويين فهو يصور للإنسان لو كان المرء في فجر شبابه ينبت فيه الشعر الأبيض وعندما يقف على عتبة الشيخوخة الواهنة يتحول الأبيض إلى أسود لنفرت الغواني من الشعر الأسود لأنها ألفت الأبيض ففوجئت بالأسود وهذا تعبير رائع فيه زخم وبلاغة وحقيقة ملموسة ولكن كان العكس بالعكس لنفرت منه الفتاة وهذا تصوير من أغرب التصاوير.

الله أنظر وأرأف

قد قلت للرجل المقسّم أمره

فوض إليه تنم قرير العيـن

رد الأمور الى العـليم بغبّهـا

وتلقّ ما يعـطـيكه بيديـن

الله انظر لي من النفس التي

تغوى وأرأف بي من الأبوين

ونعود في تحاورنا مع شاعرنا الكبير في سهرة فكرية وما أحلى السهرات الفكرية التي هي من نوادر الدنيا، فنفتتح سهرتنا بلوحة فيها وصايا من شاعرنا الكبير لأنها تنبع من نفسٍ طاهرة لم تدنسها أوطار المعاصي فهي دائماً في طاعة الخالق، فوقفة معي لنشاهد هذا التصور وهذا المنظر الذي لو عملنا به لفزنا في الدنيا والآخرة، فهو يجرد من نفسه شخصاً والمثل العربي يقول (إياك أعني واسمعي ياجاره) وعندما جرد شخصاً من نفسه وهذا أسلوب من أساليب البلاغة ونكتها فهذه نصيحة خالصة يا أيها الرجل

الذي يقسم أمره لا تشرق ولا تغرب وفوض أمرك لخالقك الذي سواك فجعلك رجلا تام قرير العين، ويوضح هذه الصورة في أسلوبٍ يشرح البيت الأول فاذا فوضت أمرك للقدير العليم وتوكلت عليه لا على غيره من عباده فسوف يفيض عليك سيباً منه فتلقى هذا السيب باليدين وهذه كناية تصورية لايتوصل إليها ويتذوقها ويشرب من نميرها إلا أولئك الروحانيون الذين يعيشون في ظل طاعة مولاهم وخالقهم، ويشكرون النعم التي يغدقها علينا خالقنا كأفواج المطر ولا نستطيع إحصاءها ولا تحملها اليدين لأنها أكبر وأكبر من أن تعد أو تحصى، فخالقنا هو أنظر بنا وأرأف علينا من أنفسنا ومن آبائنا وأمهاتنا فهل توجد رأفة ورحمة كمثل هذه الرأفة والرحمة نعصيه وهو يفيض علينا بالنعم وإنما يُعصى بنعمه ولا أحد يعصى غيره بنعمه وبرغم ذلك إنه قادر ولكنه لا يعجل لعباده الانتقام مع قدرته لعلهم يرجعون لرشدهم قبل الموت.

(وقال ايضا وكان بينه وبين الخليفة الطائع لله من المودة والاختلاط ما هو مشهور فاستمال بعض أعدائه ببذل المال فمال إليه فغاظه فقال هذه الأبيات) وهي من قصيدة:

قوم كثيرو الألوان

ونمى اليَّ من العجائب أنه

لعبت بعقلك حيلة الخوَّان

وتملكتك خديعة من قوله

غرارة الأقسام والأيمان

حقاً سمعت وربَّ عيني ناظر

يقظٍ تقوم مقامها الأُذنان

أين الذي اضمرته من بغضه

وعقدته بالسر والإعلان

أم أَين ذاك الرأي في إبعاده

حنقا وأين حمية الغضبان

سبحان خالق كل شئ معجب

ما فيكمُ من كثرة الألوان

يوم لذا وغدٌ لذاك وهذه

شيم مقطعة قوى الأقران

فالآن منك اليأس ينقع غلتي

واليأس يقطع غلة الظمآن

فأذهب كما ذهب الغمام رجوته

فطوى البروق وضنّ بالهتان

او بعد ان ادمى مديحك خاطري

بصقال لفظ او طلاب معاني

لا بارك الرحمن في مال به

يُعدي البعيد على القريب الداني

لي مثل ملكك لو اطلعت تقنعي

وذوو العمائم من ذوي التيجان

ولعـل حـالي أن يـصير الـى عُلـى

فالـدوح منبتهـا مـن القـضبـان

فأحـذر عواقـب مـا جنيـت فربمـا

رمـت الجنايـة عـرض قلـب الجانـي

أعطيتـك الـرأي الـصريح وغيـره

تنـساب رغوتـه بغيـر بيـان

وعرضـت نـصحي والقبـول اجـازة

فـاذا أبيـت لويـتُ عنـك عنانـي

ولقـد يطـول عليـك أن أصـغي إلـى

ذكـراك او يثنـي عليـك لـسانـي

ولازلنا في سهرتنا وحديثنا الأدبي الذي نتمتع بمعانيه ونتملى صورها، فوقفة معي أيها القارئ الكريم لنتملى هذه الصورة المتحركة التي جاءت في أسلوب وصايا تستمدها من واقع الحياة فهي تصور هذا البشر يتقلب أو يتبدل على أصدقائه أو أخوانه

بمجرد أن يسمع بأذنه مقولة نقلها له واشٍ أو مفترٍ أو نمامٍ أو حسود صدقها وعمل على أثرها فخلقت بينهم جفوة حتى تنبت خصومة بين حبيبين أو أخوين قبل أن يتثبت عن صحة واقعها ولم يبحث عما وراء هذه الأهداف المغرضة التي تريد أن توري فتنة بين أخوين أو صديقين أو زوج وزوجة وتعجز من سرد هذه الصور العجيبة الغريبة فشاعرنا الكبير يقول لا يخدعك ويقسم لك الأيمان الغرورة فلابد أن تشهد وتبصر بعينيك لا بأذنيك فلعل هذا نصب لك شبكاً ليصطادك وفي الأكثر ما يقوم به شريحة من الناس فيخلقون ألوان من صور يؤلفونها فيلقوها في سمع صديقٍ لصديق أو مسمع أخٍ لأخيه فيظفرون بما حاكوه خلف الظلام فيقهقهون ويرقصون على قبور الموتى، ويوغل الشاعر الكبير في هذه الصورة فيقسم هذه الشريحة يوم لهذا وغد لآخر وشاعرنا الحكيم في هذه الصور يئِسَ من إصلاح هذه الشريحة، واليأس يقطّعُ القلوب والمهج فيخاطبه إنه يذهب كما يذهب الغمام الذي يشح أن يجود بالمطر، ويتغلغل الشاعر الكبير في هذه اللوحة فيأخذه اليأس من الإصلاح حتى يفقد صبره فيصوغ أسلوباً حروفه تتفجر في طلب الانتقام والتدمير يدعو عليه بأن لا يبارك له الرحمن ولا يوفقه في اعتدائه على أقربائه ورحمه أو البعداء الذين لايبادروه بظلم، ويحذر شاعرنا الكبير من يسير من شرائح البشر على هذه السيرة فربما هذه الجناية التي أراد أن يصيب أخاه

أو صديقه ترجع عليه في نحره، فكيد الباغي يرجع كيده عليه، ويختم هذه اللوحة الفنية بأنه قد قدم نصيحته ورأيه في بيان وأسلوب واضح فإذا أبى المنصوح له تركه وهجره وألوى عنه عنانه، وإذا لم تأخذ نصيحتي فقد يطول عليك أن تسمع ذكرك يمر في فمي أو أثني عليك بلساني إنما هو هجرانٌ طويلٌ لأنني لا أصاحب أحد ولا اتخذ صديقاً من هذه الشريحة هكذا صفاته وأخلاقه.

ما مقامي على الهوان

ما مقامي على الهوان وعندي

مقْولٌ صارمٌ وانفٌ حميٌّ

واباءٌ محِلّق بي عن الضيم

كما راغ طائرٌ وحشيٌّ

أيّ عذر له الى الجد إن

ذل غلامٌ في غمده المشرفيٌّ

الـبس الـذل فـي ديـار الأعـادي

وبمــصر الخليفــة العلـــويُّ

مــن أبــوه أبــي ومــولاه مــولايَ

إذا ضــامني البعيــد القــصيُّ

لـف عرقـي بعرقـه سـيدا النـاس

جميعـــا محمـــد وعلـــيُّ

إن ذلـــي بـــذلك الجـــو عـــزٌّ

وأوامـــي بـــذلك النقـــع ريُّ

قـد يـذل العزيـز مـا لـم يـشمّرْ

لانطـلاق وقـد يـضام الأبـيُّ

إنَّ شـــرا علـــيَّ اســـراع عزمـــي

في طلاب العُلى وحظي بطيُّ

ارتضي بالأذى ولم يقف العزم

قصورا ولم تعزّ المطيُّ

كالذي يخبط الظلام وقد

اقمر من خلفه النهار المضيُّ

ولازلنا في سهرتنا مع شاعرنا الكبير وفي أبحاثنا الفكرية وفي دراستنا الأدبية وتطالعنا سمفونية من السمفونيات التي فيها تعابير رفيعة فيها بلاغة في أجواءٍ شعرية قل من يطير إليها طيراناً ولا يخنقه قلة الأكسجين، وفيها أسلوب يهدد الملك العباسي بما عنده من جنود وسلطة فهذا الأسلوب الحَرفي الشاعري في ذلك العصر كان أقطع من المهند وأقوى من المثقف فهو جيشٌ ضخمٌ وعسكرٌ مجري لا يقف أمامه السيف فأسلوب الشريف هنا أسلوب عزة وإباء وفيه أنفة تؤثره على عزةٍ عن طاعة اللئام كما عبر جده سيد الشهداء الشهيد ابن الشهيد وأبو الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهم السلام فالشاعر الكبير لا يرضى بمقامٍ على الهوان ما دام عنده ذلك المقول الصارم وهو هذا الشرف والمجد الضخم وأنف يأبى أن يذل ويخضع وعنده إباء يحلق به عن الضيم إلى آفاق السماء ويروغ

كما راغ الطائر الوحشي وليس لديه من عذر حتى يعيش عيش الذليل ولديه المشرفي أي السيف، وهنا يعبر الشريف تعبير بلاغي فيه نكتة من نكت البلاغة كيف يلبس الذل ثوب له وعنده في مصر الخليفة العلوي أي الدولة الفاطمية فقد عاصرها شاعرنا، ويعلل الشاعر الكبير ارتباطه بالفاطميين، لأنه يشترك معهم في النسب المحمدي ويلتقيان في أبٍ وجدٍ واحد وهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام عليّ (عليه أفضل الصلاة والسلام) ولهذه العوامل يراهم حصناً ومنقذاً له من كل ما يشكوه من ذل وسوف ينصروه ويخلصوه فيجمعهم الأب والجد لأنهما ينتسبان لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام) فإذا ضامه البعيد القصي فسوف يثأر له الخليفة الفاطمي لأنهما ارتبطا وألتف عرقهما إلى سيد الناس جميعا محمد (صلى الله عليه وآله) النبي الخاتم والإمام عليّ(سلام الله عليه)، فيرى إن ذله لو كان من الفاطميين لكان عزاً له وبرغم عقيدته فيهم أنهم لايمسونه ذلاً فهو يضرب مثلا ويفرض فرضاً محالياً، وقد يذل العزيز إذا لم يصن نفسه عن حطام حب المال والدنيا ويقيد هذا الذل إذا لم يشمر البطل الشجاع وينطلق في ثورته فهو بين حسنيين النصر أو الشهادة فأما أن يكون قتيلاً نهايته القبر أو على عرش الملك وذروة المنبر، ويوغل الشاعر الكبير في هذه الصوره فيحدد الهدف الذي يريده فهو يسرع في شوطه لهدفه وإن كانت عقبات

الشر تقف دونه وبرغم ذلك فإن عزمه يحثه على الإسراع في طلب العلى وحتى لو لم يرَ حظه لا يتجاوب في حركات هذه الحياة بل يُنْثَرُ في طريِقها السهام والأشوك لأنه علويٌّ فهو لا يرضى بالأذى ولا يقف عزمه ولإبائه وعنده المقول الشجاع ويختتم هذه السمفونية بخاتمة فيها زخم وإبداع، فهو يمثل إنساناً رضى بالذل وظل يخبط في الظلام ومن ورائه النهار المضيء فلماذا يتنكب ويخبط في الظلام والنهار أمام عينيه، هذه قطعة فيها من ألوان السياسة والصور الشعرية البليغة التي يندر أن يمر شاعرٌ في مثل سبكها وقوتها وبلاغتها في تصوير محسوس ملموس تكاد أناملك أن تمس ما فيها من أشخاص وأشباح.

الدجى المهتوك القناع

ودجاً هتكت قناعه

عن وجه طامسة خفيّهْ

تسري كواكبه إلى

الإصباح والليل المطيهْ

والنجم وجه مقبل

والبدر مرآة صديهْ

ونبدأ سهرتنا الفكرية في تحاورٍ. مع شاعرنا الكبير في لوحة من لوحاته الفنية تطالعنا فاسمعه يتحدث، ويصور الشاعر الكبير صورة شعرية رمزية فتعبيره بهتكه قناع الدجى ورفع الستار عن وجه الليل فيها إشارةٌ إلى أن وراء الصورة أشخاصاً لهم عدة وجوه تلبس الليل وتختفي وراء قناعه، إن هذه الصورة تحمل أوجه من التفاسير ومعانٍ من الرمزية فهي ألوان من الإشارات المغلفة لمقاصد بعيدة ترمز لها بشعر رمزي حسب تعبير عصرنا الجديد القرن الواحد والعشرين العام الثاني عشر بعد الألفين، فالشاعر قد هتك قناع هذه الصورة ورفع عنه هذا الستار الذي أخفى ما وراءه من صورٍ غير مستقيمة، وصار إلى أفق مضيء هو الصباح وصور الشاعر في هذه الحروف شبح آخر جعل الليل مطية له فهو يسير عليه حتى وضح له الصباح أي انكشفت له الحقيقة وهذه إشارات رمزية ولعلنا نعتبره من الشعر الرمزي كما نسميه في عصرنا الذي تبنّى مدرسته سعيد عقل الشاعر اللبناني وغيره من شعراء المحدثين الذين أغرقوا في الرمزية، ولعل ما أستخلصناه من آراء يؤيدها ويؤكدها الصورة التي يجسدها البيت الثالث الذي هو في هذه القطعة فالنجم وجه مقبل إشارة رمزية والبدر أي القمر مرآة ولكن تلك المرآة تموج عليها ظلال الصدى فلا تبصر ما وراءها وهذه إشارات رمزية ترمز لأشياء في أفكار الشاعر وفي آفاق روحه يشير إليها بإشارات بعيدة المعاني عميقة المفاهيم.

قل الحامدون

قلق العدو وقد حظيت برتبة

تعلو عن النظراء والأمثالِ

لو كنت أقنع بالنقابة وحدها

لغضضت حين بلغتها آمالي

لكن لي نفساً تتوق إلى التي

ما بعد أعلاها مقام عالِ

ونريد أن نقف هنا مع الشريف لنسجل سراً من أسرار الطموح النفسية فالشريف عنده طموح مجدٍ وهمةٍ عالية تكاد أن تطير فتتناول النجوم فهو لا يقنع بالنقابة وإنما يطمع إلى ما وراءها وهي الخلافة لأن الشريف يرى نفسه لما يحمله من شرفٍ ومجد وعزة ورفعة وعلماً وأدباً وبيتوتة النسب الضوئي الطاهر الذي يتصل إلى نسب أشرف الخلق النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) ومؤهلاته العلمية وإصداراته الفكرية

وأدبه وشعره الذي حلّق فيه إلى آفاق بعيدة وجدد في صوره الشعر فيرى نفسه لهذه المؤهلات أولى بالحكم من الجهلة ومن الذين هم دونه في العلم والأدب فاسمعه في هذه الأبيات فهو يحدثك بنفسه ولم نتقول عليه أو نأتي بشيء من رأينا، وإلى هنا أحببت أن أختم دراستي التي وضعتها في خدمة اللغة العربيه لغة القرآن الكريم ولو أردنا أن نتوسع لحتجنا إلى عدة مجلدات لأن الشريف ثروة ضخمة وفكر عميق لا يسبر غوره، وليس في الإمكان أبدع مما كان وأطلب بهذا القليل الأجر من الله لأنني تكلمت عن أحد مفكري الإسلام وأحد علمائه سائلاً من الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

الخاتمة

وأود أن أختم هذا البحث الذي بحثته ودرست فيه شاعرنا الكبير الشريف الرضي رضي الله عنه بحرفٍ أشير فيه إلى السانحة التي ولدت هذه الدراسة حيث مرت بي أنا أقرأ وأردد له:

يضاع فينشد قعب الغبوق

وقلبي يضاع فلا ينشدُ

كنت أردد هذا البيت وأرى تلك الصورة التي كيف صور فيها الشاعر هذا المعنى الغريب العجيب في حرف بليغ منسكب كماء يجري في نهر لا تميز أوله من آخره فهو حلقة واحدة لا تتجزأ وإذا تصور الأديب المفكر هذه الصورة عندما يضيع القعب الذي يضعون فيه اللبن للغبوق أي الإفطار في الصباح الذي نعبر عنه اليوم بكأس اللبن، يبحث عن ذلك القعب بحثاً دقيقاً بجهد وتعب أما قلب العاشقين أو المحبين عندما يضيع عند تلك العيون السحرية فلا يبحث عنه ولا يسأل عنه فما هذه الصورة العجيبة إنها من السهل الممتنع على كثير من أولئك الشعراء وكنت

أردده وفي أثناء ترديدي له أنفتحت لي سانحة من أفق بعيد أرجعتني القهقرى إلى القرن الرابع الهجري إلى أيام الشريف الرضي وما كان يتمتع به من شخصية في مجتمعه فله نفوذ في دار السلام بغداد وهيأته مواهبه إلى احتلال قمة علمية أهلته إلى زعامة فكرية ودينية حتى أسند إليه نقابة الحجيج شغلها بالوكالة عن أبيه وبعد موت أبيه بالأصالة عن نفسه، فتولدت عندي من ذلك الأفق فكرة أن أكتب عنه مقالاً فبدأت أكتب عنه مقالا ولكن السانحة عادت تطرق عليَّ آفاق نفسي وتهتف بي بإن هذا الهرم والرمز الضخم لا يليق به مقالاً وكان المقال تثمير نواة تحولت إلى سنديانة امتدت لها غصونٌ إلى أعماق تاريخ القرن الرابع الهجري على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام فتكون هذا الكتاب يتنسم الحياة وكان هذا البحث وهذا الجهد الضئيل، وقد أقصرت هذه الدراسة على النصوص الشعرية كما ألمحت لخطوط مقتضبة من خطوط حياته فلم يتسع أفق هذا البحث أن أتخطى النصوص الشعرية للشاعر الكبير الشريف الرضي وقصرتها على هذا اللون لأنني لو فتحت آفاق حياة الشاعر وحلقنا في أجوائها لحتجنا إلى عدة مجلدات وقد يطول بنا البحث ونحتاج الرجوع إلى عدة مصادر لنأخذ منها ما يتعلق بحياة الشريف التي عاجلها القضاء بحكمة خفية في صالحه وصالح الكون لأن الله لا يجري حكماً ليس فيه صلاح وإن خفي علينا سر الحكمة

لأننا عبيد لا نعرف شيئاً ولا نعلم إلا ما عُلمنا فالجاهل ينكر لأنه جاهل ولو كشف له الغطاء لحمد العاقبة ورضى بما أجراه مولاه عليه من قضاء وقدر ولكن لله الأمر والتدبير كما أنني أشير إلى ذكرى لعلها هي النواة لكتابتي عن الشريف فمنذ فتحت عيني وتفتحت فكرتي على صحوة في آفاق مدرسة معلمي الأول أبي الإمام الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي الذي كان معجباً بهذا الشاعر العملاق وكثيراً ما يردد شعره ومن ضمن ما يردد هذا البيت يضاع فينشد قعب الغبوق الذي ولد هذه السانحة فرحم الله أبي وجزاه خير الجزاء فإنني لا استطيع أن أكافئه على بذل حياته التربوية والعلمية الثقافية لي، ونعود للشريف ونهتف به فنقول له هنيئاً لك فإنك أسهمت في اللغة العربية وفي العلم وفي الفقه فجزاك الله خير الجزاء حيث قمت بجهد ضخم وفقت له منة من الله عليك لم يقم به أحدٌ حيث بحثت عن المصادر الصحيحة التي لا يتطرقها الشك ولا الريب فجمعت نصوص خطب الإمام علي سيد الأوصياء والبلاغاء بعد الرسول في كتاب وأسميته بأسم نهج البلاغة كأنك استوحيته من سماء تلك الخطب أو ألهمته الهاماً فهو اسم على مسمى والخطب التي لم تصل فيها إلي اليقين أهملتها إلا أنها جمعت من بعدك فسميت مستدرك نهج البلاغه فوفقت كل التوفيق فقد حزت الأجر من خالقك وسوف يجزيك في الأخرى ويشفع لك نبي الرحمة لأنه

الشفيع لأمته كما لآل بيته بعده الشفاعة فأعود وأقول هنيئاً لك نم في ظلال رحمة ربك مطمئن والسلام عليك وأسألك أن تسامحني إذا كنت تعديت عليك بنقدةٍ من النقدات الأدبية أو الفكرية فإنما هو رأي قد يصيب وقد يخطئ وإنما قصدي التمحيص، والحقيقة بنت البحث فأعود وأطلب منك المسامحة وختاماً، أشكر ربي وأحمده على مدده لي وتعويضه عما حرمت في الحياة بنعم أكثر مما فقدتها فله الفضل والشكر ومن أفضاله أن كتبت هذا الكتاب وما يماثله وكلها نعم من المنعم علي التي لا تعد ولا تحصى نعمه، فشكراً للمنعم والخالق.

كما وجدت نسخة من ديوان الشريف غير النسخة التي في مكتبتي تضع مسميات للقصائد في المجلد الأول والثاني فتم اختيار أسماء القصائد من النسخة المشار إليها التي طبعت في مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر بتاريخ ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

وقبل أن أختتم هذا الحرف أو بالأحرى هذا الكتاب أريد أن أشير أشارة خاطفة إلى إهمال التاريخ وتجنيه على هذا الشاعر الكبير والمفكر العالم الضخم فلم يحتفي به ويعطيه عناية كما هو ولم ينصفه بمقدار ما أعطى من فطر وعلم وأدب ولولا أنه شمس مزقت الليل ونحرته بأشعة الفكر التي لا يستطيع ظلام أو غيم يحجبها وهذه الظاهرة الإهمالية جاءة لعوال سياسية وطائفية لكون الشريف ينتسب لآل البيت وتابع

لمدرسة أهل البيت وجامع خطب الإمام علي عليه السلام نهج البلاغة كل هذه العوامل هي سبب إهمال الشريف ومحاولت دفنه والتغطية عليه ولكن التاريخ لا يستطيع دفن الأحياء وإقبار الشموس وقد عرف الشريف هذا الإهمال له وهذه التغطية فأشار لها في قوله:

أنا النضار الذي يظن به

لو قلبتني يمين منتقضِ

السِّيرة الذَّاتيَّة للمؤلِّف

الاسم: محمَّد سعيد بن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ.

تاريخ الميلاد: ٢/٢/١٩٢٥م.

العنوان: المملكة العربية السُّعودية

المنطقة الشَّرقية – القطيف

الرمز البريدي : ٣١٩١١

ص. ب : ٨٧٩

تليفون – فاكس : ٨٥٥١٠١٣/جوال/٠٥٣١٠٢٦٠٩٩

"محمَّد سعيد الشَّيخ عَلِيٍّ أبو الحسن الْخُنيزيُّ"

موجز السِّيرة الذَّاتيَّة

وُلدتُ فِي اليوم والشَّهر، مِنْ العام الَّذي حُدِّد بالميلادي، فِي الصَّفحة الأُوْلى مِنْ هذه السِّيرة.

ودرجتُ على هذا الكوكب، تحت رعاية والدي الشَّيخ / عليّ أبي الحسن الخُنَيزي.. الَّذي كان مَرْجِعاً وقاضياً لجميع المذاهب مِنْ سُنَّةٍ وشيعةٍ.. ويرضون بحكمه.

أُصبتُ فِي السَّادسة مِنْ عمري ـ تقريباً ـ بأثمنِ كَنْزٍ فِي حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة.

وعندما بلغتُ السَّابعةَ مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأنَّ ذلك الظَّرف لا تُوجد فيه مدارسُ على منهجيَّة المدارس الحديثة اليوم.

وكان هذا الكُتَّاب قمَّةَ الكتاتيب، فِي ذلك العصر، ويتعاقب على إدارته أخوان هما: فضيلة الشَّيخ محمد صالح البريكي، صباحًا، وأخوه فضيلة الشَّيخ ميرزا حسين البريكي، مساءً.

وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتابَ الله، ونمطاً مِنَ الخطِّ، وضربًا مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضَّرب والقسمة، وهذا هُوَ

بعض دروس الرِّياضيَّات اليوم، كما يُعطي لوناً مِنْ الشِّعْرِ العربي، ويشرح بعض كلماتِهِ، ويطلب مِنَ الطُّلاب حِفْظَ ذلك الشِّعْرِ. وللكُتَّاب أُسلوبٌ، ومنهجيَّةٌ فِيْ دفعِ الأُجورِ، وأيَّام التَّعليم، طيلة الأسبوع؛ والإجازة في يومي الخميس والجمعة؛ ولا تَتَخلَّل الدِّراسة فسحاتٌ يرتاح فيها الطُّلاب، مِنْ جهدِ الدِّراسة.

وقَدْ خرجتُ مِنْ هذا الكُتَّاب بعد أنِ اجتزت مراحله التَّعليميَّة. وتعليمي كان غيبِّياً عَنْ طريق الحِفظ القلبيِّ... لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثةَ عشرة.

وبعد فترةٍ هيَّأني والدي للدِّراسة، لأتَخَصَّصَ فِي العلوم الدِّينيَّة، فَدَرَسْتُ قواعدَ اللُّغة العربيَّة، ومِنْ كُتُبِهَا: متنْ الأُجرومية وشرحه لدحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألفيَّة ابن مالك، والمغني لابن هشام، كما قرأتُ بعضَ الكُتُب العقلانيَّة والفلسفيَّة، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق.

وقرأتُ كُتُبَ البلاغة، كالمطوَّل، ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويُوضِح لك سِرّ البلاغة والنكت الَّتي يحتوي عليها.

كما قرأتُ شريحةً من كُتُب الفقه، وكتبًا من أصول الفقه. وفوجئتُ وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي... فكان لموتهِ انحسارٌ، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل، الَّذي جفَّ ماؤه.

وبـرغم مـا عانَيْتَـهُ مِـنَ الثَّالوث غيـر المقـدَّس ْالفقـر - وإصـابتي بالعين - وفَقْدِ أبـيْ واصلتُ دراسـتيَ العلميَّـة، وكـنـت أقتـل أوقـاتي فـي الدروس، كما أنني أُدرِّس ثُلَّـةً مـنَ الطُّـلاب، سنشير لهـم فـي الـصَّفحة المخصَّصة لهم.

وإنَّني إذْ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعتُ سيـــرتي الذاتيـة فـي كتابٍ، يتكوَّن من مجلَّدين أسميته: «خيوط من الشَّمس» يحتـوي علـى هذه الحياة البسيطـــة، وما عانيتُ مِنْ حلوٍ ومرٍّ.

ومررتُ فيه بقنواتٍ تأريخيَّةٍ تمرُّ بحياتي الذَّاتية، أو مـا يتَّصل بهـا ممَّا له ارتباطٌ من: قريبٍ، أو بعيدٍ بهذه السِّيرة.

أمَّا الوظائف: فلم ألتحق بوظيفةٍ مِنَ الوظائف، إنَّمـا امْتَهَنْتُ عَمَـلاً حراً غيرَ مرتبط بدائرةٍ، أو مؤسَّسةٍ، وهو: المحاماة؛ وهيَ المرافعة فِي القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعيَّة.

أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة، ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسمًا، بعد أنْ مرَّت عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.

الأساتذة

الأســاتذة الَّذين تَلَمَّذْتُ عليهم، هــم: والدي الإمام الشَّيخ عليّ أبو الحسن الخنيزيُّ، والعلاَّمتان الشَّيخ عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ محمَّد صالح البريكيُّ، وهؤلاء العلماء كلُّهم مِنْ أهالي القطيف.

ولكن أُستاذيَ الَّذي أعتبره كالجامعة: مِنَ النُّقطة الأولى، إلى المرحلة العليا، هُوَ: والدي... فهوَ لِي كجامعةٍ مِنَ المعارف.

أبرز التلاميذ

إنَّ التَّلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثُر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون... غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ عبد الله الشَّيخ علي الخنيزيُّ، حيث أسهم فِي الحياة الفكريَّة، بثروةٍ ثرة، في كُتُبٍ متعدِّدةِ الألوان... خَدَمَ بها اللُّغة العربيَّة والفكر. والشَّيخ عباس المحروس؛ حيث أصبح خطيباً؛ وعبد الغني أحمد السنان؛ حيث أصبح أحد الشَّخصيَّات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية؛ ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصيَّةً مِنَ الشَّخصيَّات الوطنيَّة بالقطيف؛ ومهنَّا الحاج حسن الشَّماسي...، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفيّاً غير محدود؛ وفؤاد عبد الواحد علي نصر الله، حيث صار صحفيّاً؛ ومحمَّد وحسن ابنا الشَّيخ فرج العمران؛ وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر؛ وجمال عبد اللطيف؛ وحسن أحمد الطويل؛ وعلي زكي الخنيزي، وقاسم بن ملا محمد العيثان، وعلي

محمد المحمد علي، ومحمد وحسن ابنا بنيه محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، ومحمد علي محمد سعيد الشيخ محمد علي الخنيزي، وهناك طلابٌ آخرون، لا تسع هذه الصَّفحة لِذكرِهم.

سيرتي العملية

إنَّ سيرتيَ العمليَّة: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حُرٍّ ـ وهيَ المحاماة ـ فإنَّني لَمْ ألتحق بوظيفةٍ في: القطاع الخاص، أو العام، على حدٍّ سواء؛ إنَّما استعملت معارفيَ العلميَّة، في المحاماة.

وصرتُ لا أقبل مرافعةً في قضيَّةٍ، إلاَّ بعد دِراستها، ومعرفة حُجَجِها ووثائقها؛ فإذا طبقتها ـ حسب معرفتي ـ على القواعد الشَّرعية، وبَانَ لي موافقتُهَا على ذلك... قبلتها، وترافعتُ فيها...

ومِنْ أجلِ ذلك كسبتُ أكثَرَها بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات

لا بُدَّ مِنْ إشارةٍ مقتضبةٍ، لما قام به المفكِّرون والأدباء، مِنْ دِراسَاتٍ عميقةٍ، عن أعماليَ الأدبيَّة، وقد أُشير لبعضها، في مقدمة ديوان (مدينة الدراري) ــ الدِّراسة الَّتي كَتَبَتْهَا البنت فردوس ــ والدِّراسة الَّتي في مقدمة (كانوا على الدرب)، للدُّكتور حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، وَدِراسَاتٍ متفرِّقةٍ، لم يجمع شتاتها، فِي كتيِّبٍ يبقى رصيداً، ومرجعًا، لِمَنْ أراد الدِّراسة عن هذه الأعمال.

وهذه الدِّراسات نُشرت على صَفَحَات الصُّحف الدَّاخليَّة والخارجيَّة، وفي كُتُبٍ كثيرةٍ.

كما أُذيعت حلقاتٌ دِراسيَّةٌ من إذاعاتٍ عربيَّةٍ، وغير عربيَّةٍ ؛ ومن راديو المملكة، مِنْ جميع محطَّاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعْر.

وأكثرها أشير لها في كتاب «خيوطٌ مِنَ الشَّمس» .

كَمَا شاركتُ في عدَّة نَدوَاتٍ فكريَّةٍ وأدبيَّةٍ؛ أبرزها: مؤتمر

الشِّعر في الخليج، الَّذي أُقيم في مدينة الرِّياض، تحت رعاية رئيس رعاية الشَّباب الأمير فيصل بن فهد ـ عام ثمانيةٍ، بعد الأربعمائة والألف هجرياً وآخرها الندوة الَّتي أقامها لِيَ النَّادي الأدبي، بقاعة الجمعية الخيريَّة بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ.



الكُتّاب الذين كتبوا عن أعمالي

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي: ـ

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي – الرياض	ط١-١٤١٢	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط١-١٣٩٧	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة ع.س	دار صادر بيروت	ط١-١٣٩٣	٣٨٥
الأستاذ/محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط٢-١٤١١	٤٠٥
الأستاذ/محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط١-١٤١٠	٢٣٠
الأستاذ/محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط٢-١٣٨٢	٢٤٧
الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة	جامعة الدول العربية	ط١-١٩٥٩	٢٨٩

الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١-١٤٠٦	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط١-١٩٧٣	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة ع.س	دار الكتاب السعودي	ط١-١٤٠٦	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـ الرياض	ط١-١٤٠٩	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـ جدة	ط١-١٤٠٦	٢٤٤
عبدالعلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط١-١٤٠٦	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط١-١٣٧٧	٥٨
د شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨	
الأستاذ / الخياط	في البلاد السعودية			
د / شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د / علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط٢-١٤١٨	١١٥٤،٤٦
د / علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد الثالث العدد الرابع	١٤٠٣	٥١٨،١٩
السيد حسن أبوالرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥

الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ /أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١-١٤١٣	١٥٩
الدائرة للإعلام	معجم الكتَّاب والمؤلفين	الدائرة للإعلام المحدودة	ط٢-١٤١٣	٥٢
عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١-١٤١٤	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط١-١٤١٤	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	ط١-١٤١٦	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط١-١٤٢٣	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط١-١٤١٧	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط١-١٤١٨	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط١-١٤٢٤	١١٢-٤٠٨،٤٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتَّاب	دار المنار القاهرة	ط١-١٤١٢	٣٢٣
خالد أحمد اليوسف	دليل الكتَّاب والكاتبات	الجمعية العربية	ط٣-١٤١٥	١٠٨

د/محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	ط١-١٤٢٠	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	ط١-١٩٩٥	١٨٦
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	ط٢-٢٠٠٢	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	مطابع أطياف	ط١-٢٠٠٦	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	ط١-٢٠٠٦	٣٩،٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	ط١-١٤٢٢	٢٩١،٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد ٣١ رجب	١٤٢٥هـ	٢٢
الشيخ علي ألبلادي	أنوار البدرين ـ مؤسسة الهداية	بيروت ٢٠٠٣م ط١		٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٣٣.
حبيب آل جميع	معجم المؤلفات الشيعية	ط ١/ ١٩٩٧		٤١٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٣
عبدالله بن أحمد الشباط	آفاق خليجيه	ط١مطابع الوفاء ١٤١٥	١٤١٥	١٤٦،١٤٥، ١٤٨،١٤٧
نزار آل سنبل	أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر	المركز الثقافي للنشر والتوزيع	٢٠٠٣	٣٣٦،٣٣٥، ٣٣٨،٣٣٧
كمال سليمان الجبوري	معجم الأدباء الجزء الخامس	دارالكتب العلمية بيروت	٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ	٣٢٦

كما كتب الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجه صاحب الندوه الأثنانيه الفكرية تقريضاً لبعض اصداراتي نرفق صوره من تقريضه وكتب الشيخ جعفر الربح مقدمة لديواني إحاءت سماويه سجل في هذه المقدمة رؤياه الأدبية وانا اعتز بهذه الرؤيه الفكريه كما نشرة هذه المقدمة في مخلة الخط عدد الثالث عشر عام ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢م مضافاً إلى ما كتبت الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية. كما قرض الأدباء اعمالى الأدبية ومن ضمنهم الأستاذ عباس العسكر حينما قرأ ديوان تهاويل عبقر فقال هذين البيتين:

قرأتكَ شعراً يدقُ القلوب

وينطقُ في شعور النغم

وجدتُكَ مثل النسيم الذي

تهادى برفقٍ فهزَ القلمْ

وننقل هنا الرأي الأدبي للأستاذ عبد المقصود محمد خوجه بالنص الحرفي في إصداراتي التي قرأها وهذا النص وليداً لقراءتها:

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكر لكم إهدائي كتبكم اللافتة "تهاويل عبقر" الذي احتوى على ثمان وخمسون قصيدة تنوعت موضوعاتها بين الوجدانية والذاتية والرثاء وتميزت بجزالة مفرداتها ووضوح معانيها والمعري الشاك الذي تناولتم

فيــه الــشاعر والفيلـسوف أبي العــلاء المعــري مــن خــلال اللزوميــات واسـتنطقتم الـشاعر علـى أحـسن مـا يكـون وكـان لكـم مـا أردتم والـشعر ودوره في الحيـاة رومانـسيون والـذي تحـدثتم فيـه عـن عـدد مـن الـشعراء ومؤلفاتهم سائلاً المولى أن يزيد في عطـائكم لما يشكله مـن إضـافة قيمـة للساحة الثقافية العربية

ولكم تحيات وتقدير

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كما نرفق صورة من النص الأدبي التقريضي

تكريمي عن طريق منتدى حوار الحضارات

برئاسة/الأستاذ فؤاد عبد الواحد علي نصر الله

فهذا المنتدى له نشاط فكري طار صداه فملأ آفاق المملكة ذكراً ومجداً وقد سبق أن احتُفل بي وكُرمت في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بمدينة الدمام، كما أقام لي النادي السابق ذكره أمسية شعرية في مقر جمعية القطيف بمحافظة القطيف وكُرمت على صعيد أفق عالمي مع رواد الفكر والمؤلفين السعوديين وقد قام بهذا التكريم معالي وزير التعليم العالي الدكتور / خالد العنقري وقد اقترن هذا التكريم مع افتتاح معرض الكتاب الدولي بمدينة الرياض برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولم يكن أحد من المنطقة الشرقية سواي وعبد الرحمن العبيد وحين ذاك كان رئيس النادي الأدبي والرواد من المنطقة الوسطى والغربية وبعد تكريمنا قام سمو الأمير / سطام نائب أمير الرياض بتوزيع الهدايا علينا نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، كما أصدر كتاباً يتضمن حياتنا باختصار اسمه (الرواد للمؤلفين السعوديين).

وقد شاركت مشاركة فكرية أدبية بدعوى رسمية بناء على طلب سمو الأمير / فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية

الشباب، بخطاب رقم ٧٢٦٤ وتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٩هـ بقصيدة شعرية والتي ألقيتها بنفسي وقد أسميتها في ظلال عكاظ في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج في جلسة الافتتاح الذي أقيم بقاعة الملك فيصل للاحتفالات بمدينة الرياض بتاريخ ١٤٠٨/٦/١٥هـ وهو أول مهرجان فكري يقام من نوعه في الخليج، وكان لها الصدى العميق في الأوساط الفكرية والأدبية واستعيدت أبياتها عدة مرات.

الإذاعات التي أذاعت عن أعمالي الفكرية والأدبية:

كما أذاعت شعري الإذاعات العالمية كإذاعة لندن، وإيران وغيرها من الإذاعات العربية كإذاعات القاهرة والكويت والبحرين كما احتفلت بها جميع محطاتنا الإذاعية بالمملكة العربية السعودية. كما نشرت آثاراً في أمهات الصحف الكبرى كمجلة الأديب، المعارف والألواح اللبنانية ومجلة الكتاب للأستاذ عادل الغضبان في القاهرة والهاتف والغري العراقيتين والرائد والعربي الكويتيتين ومجلة صوت البحرين وغيرها من المجلات والصحف العربية وفي أكثر صحف المملكة العربية السعودية.

وقد كَتب عن إصدارات كتبي وأشعاري مفكرون ودكاترة كُثر أشرتُ لبعضهم في السيرة الذاتية، وشريحة من مفكري القطيف أما تكريمي في وطني القطيف فهذا أول

تكريم لي يسبق به الوالد العزيز الأستاذ / فؤاد نصر الله وكان له السبق والشكر وقد نجح هذا التكريم فكان له صدى في أوساط الآفاق الفكرية على صعيد المملكة وكان التكريم ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة واحد وثلاثون بعد الأربعمائة والألف الموافق: ثلاثون من الشهر التاسع (أيلول) سنة ألفين وعشرة، وقد تسابق وتبارى في منتدى التكريم المفكرون والأدباء والشعراء فكان الذي يدير حفل التكريم الأستاذ/ محمد بن ميرزا الغانم فأبدع وأجاد في إدارته وفي أسلوبه الأدبي الرفيع.

ومن الشعراء الذين اشتركوا في هذا المهرجان الأساتذة :

مصطفى أبو الرز، علي مهنا، وأحمد أبو السعود، وفريد النمر، محمد مهدي الحمادي.

ومن الكتّاب الأساتذة :

خليل آل فزيع، سعود الفرج، محمد الشماسي، عدنان العوامي، احمد الشمر، والأستاذ / فؤاد نصر الله رئيس منتدى حوار الحضارات والأستاذ/ عباس الشماسي رئيس جمعية محافظة القطيف، سعيد احمد بن ناجي أبو السعود والكاتب في جريدة اليوم الأستاذ عبد الله بن أحمد شباط.

وختام الحفل ختمته بكلمات فيها شكر لصاحب المنتدى الفكري وللمفكرين والشعراء والأدباء وإلى كل من شارك في الحفل وحييتهم بقصيدة منبعثة من قلبي تحية وشكراً لأصحاب البيان والفكر والتي أسميتها مهرجان البيان.

وكان لهذا التكريم أصداء فكرية وأدبية انعكست على المسموع والمقروء والمرئي فغطت الصحف هذا الموسم التكريمي كصحيفة اليوم والوطن والحياة وصحيفة والوسط البحرانية في العدد ٢٩٥٥ وغيرها من الصحف المحلية والخليجية، والشبكة العنكبوتية وعلى صعيد ألوان مواقعها المختلفة وفي طليعتهم منتدى حوار الحضارات، راصد وشبكة التوافق وغيرها من المواقع الإلكترونية كما اشترك التلفاز السعودي فزارني في بيتي وأجرى معي حواراً عن التكريم وعن حياتي الأدبية والفكرية. وفي يوم الاثنين ١٤٣١/١٠/٢٥هـ الموافق يوم الرابع من شهر أكتوبر عام عشرة بعد الألفين وأُذيعت هذه المقابلة مساء الأربعاء في السابع والعشرين من الشهر المشار إليه والعام المذكور الموافق ٦ أكتوبر من العام المشار إليه وأعيدت الحلقة في مساء ليلة الخميس الساعة الثانية وعشر دقائق وقد بقيت أعمالٌ فكرية وأدبية لم تلق حيث لم يتسع لها الوقت لأن المواد السابقة غطت الوقت فأعتذر لمن لم يلقِ عَمله.

الأعمال العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٣٨١- ١٩٦١	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦- ١٩٧٦	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية - بيروت	١٤٠٦- ١٩٨٦	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا - الدمام - السعودية	١٤١٤- ١٩٩٣	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤١٦- ١٩٩٥	شعر
خيوط من الشمس " قصة وتاريخ "	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٠-٢٠٠٠	مجلدان نثر
الشعر ودوره في الحياة	مؤسسة البلاغ - بيروت		مجلدان نثر

الشعر ودوره في الحياة: أُنجز منه مجلدان: المجلد الأوَّل (في جزءين) يحتوى على العصر الجاهلى وعصر النور «الإسلام» والأموى والعباسى ، وفترة الفكر الانتكاسية ، والجزء الثَّانى يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية.

المجلد الثانى (في جزءين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاص بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين .

تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٢ - ٢٠٠٢ م	شعر
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٤ - ٢٠٠٣	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٥ - ٢٠٠٤	نثر
أشباحٌ في الظلام	دار المحجة البيضاء	١٤٢٦هـ	نثر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء	ط١- ١٤٢٨هـ	شعر
ذكرى أبو نسيم	الخبر	ط٨-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧	نثر
المعري الشاك	دار المحجة	ط١- ١٤٢٨ هـ	نثر
أبو نواس	مخطوط	ط١- ١٤٣٠هـ	نثر
أيام من الماضي	مخطوط		نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط		نثر
إيحاءات سماوية	مخطوط		شعر
أطياف وراء السديم	مخطوط		شعر
تأملات	هو ذا		نثر
ومضات وراء الغيوم	مخطوط		نثر
أيام في لندن	مخطوط		نثر
الشريف الرضي	مخطوط		نثر
أحداث تاريخية			نثر

مواقع

نهر التايمز	٤١، ٩٥، ٩٦
حدائق الهايد بارك	٤٥
ساعة بج بن	٤١، ٩٥
البرلمان البريطاني	٩٥
قصر بكنجهام	٤٦
كنيسة الأسرة الملكية بلندن	٤١
حدائق رجينت بارك	٤٦
أكبر مسجد بمدينة لندن	٢٦

أهم المراجع

١ - تفسير القرآن :

- الميزان (العلامة الطباطبائي)
- مجمع البيان (العلامة الطبرسي)
- الكشاف (الزمخشري)

٢ - مراجع حديث المنزلة :

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم (الإمام النووي)
- فتح الباري (ابن حجر العسقلاني)
- عمدة القارئ (العابدي)
- تاريخ دمشق (ابن عساكر)
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: محمد بن طلحة الشافعي
- المستطاب في شرح تجديد الاعتقاد (العلامة الحلي)
- الفصول المهمة (ابن الصباغ المالكي)
- شرح نهج البلاغة (الشيخ محمد عبده)
- المستدرك الحاكم
- ينابيع المودة القندوزي

المحتوى



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمَال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com   info@daralmahaja.com